الأخبار
al-akhbar

الجمعة 1 أيار 2026
العدد 5769 السنة العشرون
Vendredi 1 Mai 2026 no 5769 20ème année

www.al-akhbar.com

16 صفحة
100000 ليرة

عالم | 10

استراتيجيةُ مقاومةٍ ثلاثية المستويات
كيف تواجه إيران الحصار البحري؟

أكثر من مليون شخص في دائرة الخطر الغذائي
رُبع نساء لبنان يستنزفهنّ النزوح 6

الجيش: أعطونا مظلة توافق سياسي وشعبي لمواجهة الضغوط
تأجيل أو إلغاء زيارة عون إلى واشنطن؟ 2

(علي حشيشو)

تحتجب «الأخبار» غداً السبت لمناسبة عيد العمال

الحرب الكونية ضد المقاومة

الجيش: أعطونا مظلة توافق سياسي وشعبي لمواجهة الضغوط الخارجية

تأجيل أو إلغاء زيارة عون إلى واشنطن؟

علمت «الأخبار» من مصدر واسع الاطّلاع أن المساعي الخاصة بترتيب زيارة لرئيس الجمهورية جوزيف عون إلى الولايات المتحدة مُجمّدة حالياً. وقال المصدر إن رئيس الجمهورية المتحمّس لزيارة البيت الأبيض، باتت لديه خشية من زيارة تنتهي بصورة مع رئيس حكومة العدو بنيامين نتنياهو، دون أي مكسب واضح في ملفَّي وقف إطلاق النار والانسحاب. وبحسب المصدر فإن الجانب الأميركي أبلغ عون بأنه ليست هناك ضمانات بأن يحصل وقف شامل لإطلاق النار قبل زيارة واشنطن، وأن الانسحاب سوف يكون بنداً في المفاوضات لا خطوة قبلها.

وفي هذه الأثناء، سرّبت مصادر إسرائيلية إلى وسائل إعلام العدو، أن نتنياهو ليس واثقاً من سفره إلى واشنطن في الأيام العشرة المقبلة كما كان مُقرّراً، وذلك لعلمه بأن الاجتماع المُفترض بينه وبين عون ليس متوفّراً الآن. وقالت المصادر الإسرائيلية إن رئيس حكومة العدو يريد من ترامب ليس فرض وقف شامل لإطلاق النار والانسحاب، بل يريد منه منحه الإذن للقيام بعمليات عسكرية واسعة في كل لبنان، وذلك نتيجة الضغط الذي يتعرّض له من قبل جيشه الذي يقول إنه مُقيّد في العمل. كما أن إسرائيل ترفض الحدّ من حرية حركتها في لبنان كما يطلب لبنان، وهي لا ترى أنه يوجد في لبنان اليوم من يقدر على تحقيق تسوية مع إسرائيل أو المباشرة بخطة فعلية لنزع سلاح حزب الله.

وفي خضمّ النقاش حول ملف المفاوضات وما تريده الولايات المتحدة الأميركية وأطراف محلية من الجيش، كان لافتاً ما نقلته قناة «الجزيرة» عن مسؤول عسكري لبناني رفيع المستوى من تعليقات ومواقف تصبّ كلها في خانة أن الجيش ليس مستعداً لمواجهة الناس تحت أي ظرف.

وقال المسؤول العسكري: «إن المؤسسة العسكرية واعية لحجم التحدّيات التي يواجهها لبنان على كلّ المستويات، ونحن متمسّكون برؤية الجيش لتوفير الأمن على كامل الأراضي اللبنانية، وهي تقوم على «جيش قادر» لتأمين السيادة الوطنية وتوفير الأمن للبنانيين».

وتوجّه المسؤول إلى «المسؤولين في كل مستوياتهم بأن يكون هناك وعي لمنع الفتنة، ومواجهة التحريض الطائفي، وأن وعي اللبنانيين هو أقوى سلاح لحماية السلم الأهلي، والتحريض الطائفي خطر على لبنان».

وأعرب المسؤول العسكري عن «قلق الجيش لما قد تؤدي إليه الأمور نتيجة ضغوط خارجية لنزع سلاح حزب الله بالقوة أو من قبل الجيش»، مؤكداً أن «الجيش يعمل تحت مظلة التوافق السياسي والشعبي، وأنه إلى جانب حاجاته على صعيد العتاد والعديد، إلا أنه يحتاج إلى توفير مظلة سياسية واضحة تؤدّي إلى تسوية وإلى اعتماد مقاربة عاقلة لملف سلاح حزب الله».

وأعلن المسؤول أن الجيش «عاد إلى 20 نقطة جنوبي الليطاني أخلاها الشهر الماضي»، مشيراً إلى أن قوات الاحتلال تستهدف الجيش اللبناني أثناء عمليات إنقاذ المواطنين في المناطق الحدودية». وقال إن المنطقة المحتلة من قبل إسرائيل تبلغ نحو 600 كيلومتر مربّع، وإن قوات الاحتلال تقصف بشكل مُمنهج منطقة جنوب الليطاني لمنع عودة السكان إليها، كما تقوم بتدمير كامل منطقة الشريط المحتل بشكل مُمنهج».

وأشار المسؤول العسكري إلى أن الجيش «عزّز قواته وإجراءاته في بيروت تنفيذاً لقرار الحكومة بسط سلطتها على العاصمة».

ومساء أمس، أصدرت السفارة الأميركية في بيروت بياناً قالت فيه إن «اجتماعاً مباشراً بين الرئيس عون ورئيس الوزراء نتنياهو، بتيسير من الرئيس ترامب، سيُتيح للبنان فرصة الحصول على ضمانات ملموسة بشأن السيادة الكاملة، والسلامة الإقليمية، وتأمين الحدود، والدعم الإنساني وإعادة الإعمار، واستعادة سلطة الدولة اللبنانية الكاملة على كل شبر من أراضيها، بضمانة من الولايات المتحدة».

وختمت البيان بأن «هذه هي لحظة لبنان ليُقرّر مصيره، وهو مصير يخصّ جميع أبنائه. والولايات المتحدة على أتمّ الاستعداد للوقوف إلى جانب لبنان وهو يغتنم هذه الفرصة بثقة وحكمة. لقد ولّى زمن التردد».

وكانت البلاد دخلت حالة شلل سياسي متفاقم، أساسُها الصدام المباشر بين رئيس الجمهورية جوزيف عون ورئيس مجلس النواب نبيه بري، والذي انعكس تعطيلاً كاملاً في آلية القرار، خصوصاً بعد انهيار التنسيق بين بعبدا وعين التينة. هذا الخلاف لم يعد تفصيلياً، بل تحوّل إلى عامل أساسي يقيّد قدرة الدولة على التعامل مع الاستحقاقات المصيرية، في وقت تتزايد فيه الضغوط الخارجية وتتراكم التهديدات العسكرية.

جوهر الأزمة تمحور حول مقاربة التفاوض. فالرئيس عون، بالتنسيق مع رئيس الحكومة نواف سلام، يميل إلى جانب التفاوض المباشر كمدخل لتفادي التصعيد، مُصرّاً على أن موازين القوى الدولية والميدانية تميل لصالح العدو الإسرائيلي. في المقابل، يتمسّك الرئيس بري بشروط أكثر تشدّداً، تتقاطع مع موقف «حزب الله» والقوى الوطنية، لجهة ربط أي مسار تفاوضي بانسحاب إسرائيلي مُسبق ووقف العمليات العسكرية. هذا التباين الحادّ لا يعكس فقط اختلافاً في التكتيك، بل يكشف انقساماً عميقاً حول كيفية إدارة الأزمة الوطنية برمّتها. واكثر من ذلك، اخذت الأمور منحى تصعيدياً، في وقت تتزايد فيه الضغوط الخارجية وتتراكم التهديدات العسكرية.

جوهر الأزمة تمحور حول مقاربة التفاوض. فالرئيس عون، بالتنسيق مع رئيس الحكومة نواف سلام، يميل إلى جانب التفاوض المباشر كمدخل لتفادي التصعيد، مُصرّاً على أن موازين القوى الدولية والميدانية تميل لصالح العدو الإسرائيلي. في المقابل، يتمسّك الرئيس بري بشروط أكثر تشدّداً، تتقاطع مع موقف «حزب الله» والقوى الوطنية، لجهة ربط أي مسار تفاوضي بانسحاب إسرائيلي مُسبق ووقف العمليات العسكرية. هذا التباين الحادّ لا يعكس فقط اختلافاً في التكتيك، بل يكشف انقساماً عميقاً حول كيفية إدارة الأزمة الوطنية برمّتها. واكثر من ذلك، اخذت الأمور منحى تصعيدياً، في وقت تتزايد فيه الضغوط الخارجية وتتراكم التهديدات العسكرية.

(مروان بوحيدر)

> السفارة الأميركية تقول إن اللقاء المباشر بين عون ونتنياهو سيُتيح للبنان فرصة الحصول على ضمانات ملموسة

الحكيم يزايد على السعودية.. الأولوية لحصر السلاح!

ندى أيوب

عند سؤال رئيس حزب "القوات اللبنانية" سمير جعجع في إطلالة إعلامية قبل أيام عن فحوى لقائه بالموفد السعودي إلى لبنان الأمير يزيد بن فرحان، تمنّع جعجع عن الإجابة بذريعة "أمانة المجالس"، مكتفياً بجواب فارغ في مضمونه بالمعنى السياسي، وهو أنّ "السعودية تريد للبنان أن يكون دولة فعلية". متجنباً ذكر مساعي التهدئة الداخلية التي تدفع باتّجاهها السعودية، بالتوازي مع محاولاتها فرملة الاندفاعة اللبنانية في ملف التفاوض مع العدو الإسرائيلي، وهما العنوانان الأساسيان اللذان شكّلا نقطة الاختلاف بين جعجع وبين فرحان، في لقائهما الأخير، الذي وصف بـ"السيئ"، وبحسب ما نُقل عن أوساط قريبة من الاجتماع، فإن الموفد السعودي خرج بانطباع سلبي، لدرجة أنه أبلغ من يعنيهم الأمر بالتباينات القائمة مع جعجع حول رؤية إدارة الأزمة في المرحلة القادمة في لبنان، مستخدماً تعبير "الكيمياء غير راكبة".

اللقاء المطوّل بين بن فرحان وجعجع، تسمّ بنقاش عقيم حول مقاربة الورقة السياسية في لبنان. وبحسب المصادر، انطلق بن فرحان من ثابتة الحفاظ على السلم الأهلي اللبناني، والاستقرار الداخلي، والتركيز على سياسة عدم الاقصاء لأي مكون لبناني، فحاول إقناع جعجع بضرورة خفض سقف خطابه السياسي الداخلي، لا سيما في ظل انقسام يقود إلى مناخات تصعيدية بين المكونات اللبنانية، معتبراً أنّ الخطاب الذي تعتمده "القوات" يسهم في رفع منسوب التوتر، ولا يخدم المناخ العربي والإقليمي القلق من أي اهتزاز أو اشتباك لبناني داخلي. لكن جعجع كان له رأي آخر، ينطلق من أنّ الفرصة سانحة لخوض المعركة حتى النهاية بوجه حزب الله، وبوجه "الثنائي" إذا استمر الرئيس نبيه بري على تقاطعه في المواقف مع الحزب، رافضاً أي طرح يحمل في طياته أجواء "مهادنة" مع حزب الله، قبل تسليم سلاحه بالكامل.

> جعجع سمع من بن فرحان دعوة إلى خفض سقف الخطاب التصعيدي، وعبر عن امتعاضه من أي تسوية مع بري

السعودية لم تغيّر جوهر سياستها تجاه حزب الله، إنما تجري تحولاً ظرفياً في إدارة الملف، أكّد موفدها لجعجع أنّ بند حصر سلاح حزب الله هو بند قائم على طاولة الرياض ولا تراجع عنه، شارحاً وجهة نظر السعودية القائمة على مقاربته بنوع من العقلانية، تماشياً مع الظروف السياسية الراهنة، على وقع الضغط العسكري الإسرائيلي والانقسام الداخلي، إلا أنّ جعجع المتوجّس من أي تفاهم سعودي – إيراني قد يقوّد خطوه بالاذهاب بعيداً في مواجهة حزب الله، وقد عبر جعجع عن معارضته لوجهة نظر ضيفه، معتبراً أن طرحه يؤدي إلى "تفويت للفرص"، ولم يوحِ باستعداده لإحداث أي تغيير في لهجته ومواقفه.

بالموازاة، وإلى جانب الخلاف حول آليات تحقيق الهدف المشترك المتمثل بحصر السلاح، برز تباين آخر بين الرجلين، فبينما كانت تسعى السعودية عبر موفدها إلى تقريب وجهات النظر بين الرؤساء الثلاثة، وتحديداً بين الرئيسين جوزيف عون و بري، فقد عبّر جعجع عن امتعاضه من هذا الاهتمام بدور للرئيس بري، معرباً عن عدم دعمه لأي مبادرة حوارية يمكن البحث بها مع حزب الله. ووفق المصادر، سمع منه بن فرحان كلاماً غير داعم لفكرة البحث في استراتيجية دفاعية، مع التركيز أولاً وأخيراً وقبل أي شيء آخر على حصر السلاح. حتى أنّ "الحكيم"، ربط أي تسوية أو حل متكامل تطرحه السعودية انطلاقاً من مخرجات اتفاق الطائف، بأن سبقه نزع سلاح الحزب، وليس أن يكون واحداً من بنود الطرح فقط.

الدعم السعودي لرئيس الجمهورية والحكومة، شكل نقطة التقاطع بين جعجع وبن فرحان، لكن بقيت دون السقف المنشود سعودياً، الذي أراد رسم حدود للمفاوضات المباشرة بين لبنان والعدو الإسرائيلي. جعجع الذي نظّر في مقابلة إعلامية إلى أن الصورة بين الرئيس عون ورئيس حكومة العدو بنيامين نتانياهو لا مانع من أن تحصل، سمع من الموفد السعودي، كلاماً لم يرق له، حول ضرورة تثبيت المفاوضات تحت سقف مبادرة بيروت العربية للسلام، وأن المملكة لا تشجع تخطي لبنان لهذا الإطار والسير نحو اتفاق سياسي بشكل منفرد بين لبنان وإسرائيل.

في المحصّلة، يؤكّد مطّلعون أنّ أجواء اللقاء عكست تبايناً عميقاً في الرؤى، ولم تصل إلى نتيجة يبنى عليها، وسط مواقف جعجع المتشددة، غير المنسجمة مع الجهود الإقليمية الرامية إلى احتواء التصعيد الداخلي، ومع استياق السعودية لأي اتفاق إقليمي يرخي بظلاله على الساحة اللبنانية، وسط أجواء بأن جعجع بدور يتوجّس من التنسيق السعودي – الإيراني في الملف اللبناني ويرغب في استباق اتفاق لن يخدم أجندته بالذهاب بعيداً في المواجهة الداخلية.

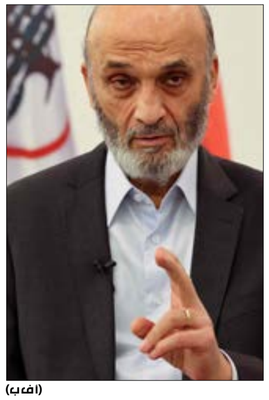

(أ ف ب)

أحمد الحاج مدعياً عاماً تمييزياً

عيّن مجلس الوزراء أمس القاضي أحمد رامي الحاج مدعياً عاماً تمييزياً، خلفاً للقاضي جمال الحجار. كذلك، عيّن القاضي أسامة منينة رئيساً للتفتيش القضائي، خلفاً للقاضي أيمن عويدات، الذي يتقاعد بعد شهرين.

وكان وزير العدل عادل نصار قد تولى طرح تعيين الحاج ومنينة، بعد إشارته إلى ضرورة تعيين مدعي عام تمييزي ورئيس للتفتيش القضائي. لتوافق الحكومة بسرعة فائقة لم تتجاوز الدقيقتين، ما يؤكد أن اتفاقاً مسبقاً قد تمّ قبل الدخول إلى الجلسة التي عقدت في بعبدا، برئاسة رئيس الجمهورية جوزيف عون.

وعلمت «الأخبار» أن عون ورئيس الحكومة نواف سلام اتصلا أمس برئيس حزب «القوات اللبنانية» سمير جعجع بعد المؤتمر الصحافي للنائب جورج عدوان، الذي اعترض فيه على تعيين الحاج. فبدّل جعجع موقفه، وأعلن تأييده للحاج، مُتخلياً بذلك عن نائبه عبر إشاعة أن ما عبّر عنه لا يتعدى الرأي الفردي، ولا يمثل معراب. أما باقي القوى السياسية، فكانت قد انضمت إلى حلف المؤيدين للحاج، نتيجة اتصالات بين الرؤساء الثلاثة وتنسيق كامل مع كل الأحزاب الممثلة في الحكومة. يذكر أن الرئيس السابق للحزب التقدمي الاشتراكي وليد جنبلاط كان من أوائل الداعمين للحاج، في حين اعتبر سلام بعد لقاءاته بالقضاة المرشحين أن الحاج هو «الأفضل بين السيئين»، مع تفضيله منينة لرئاسة محكمة التمييز، عن كل الباقين. لكن انتماء نجله إلى الجماعة الإسلامية حال دون وصوله إلى هذا المركز، خصوصاً مع وضع «فيتو» رئاسي عليه.

وكان عون تبنى ترشيح الحاج بعد فشله في تمرير القاضي ربيع حسامي، وقد تولى مستشاره أندرية رحال بالتسويق له. ولا سيما بعد إيعاز الموفد السعودي يزيد بن فرحان إلى كل من التقاهم باحترام رغبة رئيس الحكومة الذي عارض تعيين الحسامي. بهذه الطريقة، هندس عون اسم المدعي العام بالتنسيق مع حركة أمل وحزب الله. وعندما أدرك سلام الأمر، ربط تعيين رئيس التفتيش بالمدعي العام ليضمن وصول منينة إلى الموقع. وهذا ما كان.

(الأخبار)

المُسيّرات تُلاحق الجنود إلى المستوطنات

توزان ناري بين العدو والمقاومة

وسط الاستعصاء الميداني والتخبط في مواجهة أنماط المقاومة المفاجئة بالنسبة إليه، لجأ العدو الإسرائيلي إلى تصعيد وتيرة اعتداءاته على القرى والبلدات الجنوبية، بمن فيها من مدنيين. وبالتوازي، وسّع نطاق إنذارات الإخلاء إلى مناطق أعمق ضمن قضائي صور والنبطية، الأمر الذي يضغط على البيئة المدنية، ويهدد بموجات نزوح إضافية.

يؤشر ذلك على تحوّل ميداني يهدف إلى فرض واقع أمني جديد يتجاوز القرى الواقعة ضمن ما يسميه العدو «الخط الأصفر»، الذي فشل في تحقيق الهدف من إنشائه، وهو تأمين المستوطنات الشمالية، فضلاً عن القوات المعادية المتموضعة في جنوب لبنان.

وتوزعت الاعتداءات الإسرائيلية على مساحات جغرافية واسعة، عاكسة نمطاً قتالياً قائماً على الكثافة النارية والتكرار. إذ استهدفت الغارات بلدات الحنية، المالكية، القليلة، ووادي جيلو، كما طاولت أطراف كفرمان. ولم تقتصر الضربات على الطيران الحربي، بل برز استخدام مكثف للطائرات المسيّرة، التي نفذت سلسلة استهدافات طاولت الشهابية (دراجات نارية ومواقع استهدفت أكثر من مرة)، البازورية، زبدين، قانا، دبين، إضافةً إلى مدينة النبطية نفسها.

في موازاة ذلك، شهدت بلدات عدة قصفاً مدفعياً مباشراً، بينها كونين وصريفا والمنصوري ومجدل زون، بينما سُجلت غارات إضافية على زوطر الشرقية، حداثا، حناويه، عربصاليم، حومين الفوقا والنبطية الفوقا. كما استهدفت الغارات بلدات كفرجوز، معروب، أرزون، باريش، بستات، الحميري، عبا، إضافة إلى المنطقة الواقعة بين كفردونين والشهابية.

الملافت أيضاً تسجيل اعتداءات متفرقة، بينها تفجير في بلدة شمع، واستهداف دراجات نارية على طريق العامرية – المنصوري.

أما القطاع الغربي، فطاولت الغارات بلدات قلاويه، خربة سلم، والصوانة، فيما استهدفت مسيّرات معادية مناطق عند أطراف البرج الشمالي.

عملية شوميراه النوعية

يأتي ذلك، فيما تتواصل عمليات المقاومة في استهداف المستوطنات الشمالية، حيث دوّت طوال نهار أمس الخميس، صفارات الإنذار بشكل متكرر في مناطق الجليل الغربي نتيجة الإطلاق المتزايد للمسيّرات. وأفادت وسائل إعلام العدو بأن صفارات الإنذار انطلقت في مستوطنة زرعيت، على وقع مخاوف من تسلل طائرات مسيّرة، قبل أن تتسع الدائرة لتشمل مستوطنات أفن مناحم، نطوعه وفسوطه، كفار جلعادي ومسكافعام، في مشهد يعكس حال الاستنفار المتصاعدة في عمق الشمال.

وفي ما يمكن وصفها بأنها العملية التي دفعت العدو إلى الاعتداءات العشوائية أمس، مثلت عملية شوميراه نقلة نوعية في عمليات المقاومة المنفذة بواسطة المُسيّرات الانقضاضية. ففي تصعيد نوعي، نفّذ حزب الله صباح أمس، هجوماً دقيقاً بطائرة مسيّرة مفخخة استهدف موقعاً عسكرياً تابعاً لجيش الاحتلال في مستوطنة شوميرا بالجليل الغربي، ما أدى إلى سقوط قتيل و12 جريحاً في صفوف جيش الاحتلال، وفق ما أقرّت به وسائل إعلام العدو.

> مثلت عملية شوميراه نقلة نوعية في عمليات المقاومة المنفذة بواسطة المُسيّرات الانقضاضية

من نوع متطور مزود بكابل ألياف بصرية، في سابقة هي الأولى من نوعها في الجليل الغربي، والثانية التي يتم رصدها في الحرب الدائرة في الشمال، ما يعكس مستوى متقدماً في قدرات التحكم والتوجيه لدى المقاومة.

عمليات مكثفة للمقاومة

وكانت المقاومة قد صعّدت من وتيرة عملياتها أمس، كمّاً ونوعاً، مع تركيز واضح على استخدام الطائرات المسيّرة الانقضاضية كسلاح رئيسي في استهداف مواقع وانتشار جيش الاحتلال، سواء على مستوى الآليات أو التجمعات البشرية. في هذا الإطار، وبحسب المعطيات التي سمح العدو بنشرها لاحقاً، فإن المسيّرة استهدفت بشكل مباشر موقعاً للمدفعية، ما أدى إلى أضرار جسيمة في بطارية مدفعية إسرائيلية، وفق ما أوردته صحيفة «معاريف». كما تسبّب الانفجار باندلاع حرائق وانفجارات نتيجة تفجّر ذخائر كانت موجودة داخل الموقع، ما ضاعف حجم الخسائر.

وفي تطور لافت، كشفت «القناة 15» العبرية أن المسيّرة المستخدمة كانت

> مثلت عملية شوميراه نقلة نوعية في عمليات المقاومة المنفذة بواسطة المُسيّرات الانقضاضية

نفّذت المقاومة عمليات دقيقة ضد أهداف مدرعة، إذ استهدفت دبابات «ميركافا» في كل من بنت جبيل والقنطرة عبر محلّقات انقضاضية. كما طاولت العمليات آلية عسكرية من نوع «هامر» في بلدة البياضة، في سياق استهداف الوسائط المتحركة داخل مسرح العمليات. بالتوازي، استهدفت المقاومة قدرات الإسناد الناري للجيش الإسرائيلي، عبر ضرب مدفع ذاتي الحركة من عيار 155 ملم جنوب بلدة يارين باستخدام مسيّرة انقضاضية، في محاولة لتعطيل القدرة المدفعية للعدو في الجبهة. وعلى مستوى مكافحة طائرات العدو، أعلنت المقاومة إسقاط طائرة استطلاع إسرائيلية من نوع «هرمز 450» في أجواء النبطية باستخدام صاروخ أرض – جو، ما يعكس حضوراً متقدماً لمنظومات الدفاع الجوي ضمن بنك الأهداف العملياتي. أما في ما يتعلق باستهداف القوى البشرية، فكثّفت المقاومة ضرب التجمعات العسكرية الإسرائيلية عبر أسراب من المسيّرات الانقضاضية، مستهدفة مواقع وانتشارات في بلاط، شمع، ميس الجبل، الطيبة والقنطرة، ما يدل على اعتماد تكتيك الإغراق الجوي لإيقاع أكبر قدر من الإصابات وتعطيل تموضع القوات.

ومع مواصلة العدو خرق وقف إطلاق النار وتوسيع جغرافية اعتداءاته، عكست عمليات المقاومة أمس تحوّلاً عملياتياً قائماً على الدمج بين الدقة والتكثيف، إذ تتصدر المسيّرات الانقضاضية المشهد كأداة رئيسية لضرب الدروع والتجمعات، إلى جانب توظيف قدرات دفاع جوي لمواجهة الطائرات المعادية، في إطار استراتيجية تهدف إلى استنزاف قدرات العدو وتقييد حركته الميدانية.

(الأخبار)

(الإعلام الحربي)

الحكومة تدرس خياراتها لمقاضاة إسرائيل

قرّر مجلس الوزراء أمس تكليف وزارة العدل بدراسة الخيارات القانونية المُتاحة لمقاضاة العدو الإسرائيلي، بسبب الاعتداءات المرتكبة بحق الصحافيين أثناء قيامهم بواجبهم المهني، خاصة الشهيد الصحافي عصام العبدالله ورفاقه.

وكان تحقيق لوكالة «رويترز» قد أثبت قتل إسرائيل للعبدالله، وإصابة ستة صحافيين آخرين، بقصف من دبابة على موقعهم في جنوب لبنان، أثناء تغطيتهم قصفاً عبر الحدود، في 13 تشرين الأول 2023.

وكانت إسرائيل قد استهدفت في 22 نيسان الفائت، مراسلة «الأخبار» آمال خليل، ما أسفر عن استشهادها، وإصابة الزميلة زينب فرج التي كانت برفقتها.

(الأخبار)

الحرب الكونية ضد المقاومة

الإبادة العمرانية
حرب لمحو الذاكرة الجماعية في الجنوب

مقام النبي شمعون الصفا في بلدة شمع (علي حشيشو)

فراس خليفة

على مدى الأيام التي أعقبت إعلان «وقف إطلاق النار»، راقب سكان القرى الحدودية مشهدية محو قراهم وبلداتهم، عبر صور الأقمار الاصطناعية ومقاطع الفيديو التي نشرها جيش الاحتلال، أو من خلال صور النُّقطت من بلدات مجاورة. لم يكن سهلاً على هؤلاء أن يروا مراتع طفولتهم تتحوّل تباعاً إلى ركام، في ما يُفترض أنه زمن «هدنة»، لا في ذروة العمليات العسكرية.

يقف محمد أبو جهجه، ابن بلدة حانين (قضاء بنت جبيل)، أمام صورة قريته التي يحفظ تفاصيلها، وهي تُمحى من جديد. يقول: «كانَ الذاكرة نفسها تُقصف». يضيف أن وقع المشهد مضاعف القسوة، «لأنه مألوف. جرح تعلّمنا اسمه منذ أواخر السبعينيات، وعشناه مجدّداً بعد عام 2006، وها هو يعود اليوم بثقل أكبر». أبو جهجه، المولود في مطلع الثمانينيات، يجد نفسه أمام امتحان قاس حين يسأله أولاده عن المكان الذي زُرع حبّه في قلوبهم. «أتمسّك بالصور التي عرفناها معاً، بالبيت الذي أردته ملاذاً لوالدي بعد تقاعده، وبغابة دير يا التي حمت القرية سنديانها من الحرائق لأنها تشبهنا: تُحرق وتعود. نحن أيضاً نعود»، يقول بثبات، مضيفاً أن «حانين قامت سابقاً، وستقوم مجدّداً».

خلال السنوات الثلاث الماضية، واكبت الصحافية زينب فرج، ابنة بنت جبيل، التحوّلات التي فرضتها الحرب على القرى الحدودية. تقول: «كنّا نراقب كلّ مرّة كيف كانت البيوت والمرافق الأساسية تنقص تباعاً، أمّا اليوم فنرى المشهد مكتملاً، وأكثر قسوة». وترى أن ما يجري يتجاوز التدمير المادي إلى «محاولة محو الذاكرة الجماعية».

ومع ذلك، «أهل الجنوب يمتلكون القدرة على إعادة المعنى للحجر، وصناعة الذاكرة من جديد». وضّاح جمعة، الناشط في توثيق تراث بنت جبيل، يستعيد صورة «سوق الخميس» الشعبي، الذي كان يشكّل «كرنفالاً ومساحة جامعة لأبناء المنطقة فضلاً عن كونه سوقاً تجارياً». يشير إلى أن استهداف النسيج العمراني ليس جديداً، إذ «بدأ تدمير التراث المعماري والنسيج الاجتماعي للمدينة مع اجتياح 1978، مروراً بحرب تموز 2006 حين دُمّر جزء كبير من وسط البلدة القديم». لكنّ ما يحدث اليوم «نكبة حقيقية»، مع نسف كامل لوسط بنت جبيل القديم وبيوت ومعالم تراثية أخرى. ويضيف: «ما يجري في بنت جبيل وعيناثا وميس الجبل وعيترون وبيارون ومارون وبليدا هو محاولة لشطب علاقة الأجيال القادمة بأهلها وأرضها وتاريخها». محذّراً من «فقدان قرى جبل عامل لهويتها المعمارية والتراثية نهائياً، وتحوّلها لاحقاً، بعد إعادة الإعمار، إلى ضواحٍ سكنية متشابهة فاقدة للهوية».

من جانبها، تقول رؤى شرف الدين، ابنة الطيبة (مرجعيون) إنّ «شعوراً ممزوجاً بالألم والفخر» يصيبها عندما تتحدّث عن بلدتها التي كانت إحدى ساحات المقاومة في هذه الحرب. يصعب عليها رؤية مشاهد نسف البيوت والأماكن التراثية التي تُميّز بلدتها مثل الجامع المعروف بقبّته العالية، وعين الطيبة التي «لا نعرف مصيرها»، وسوق الأربعاء، وساحة الطيبة التي جرّفها الاحتلال، و«التي شهدت على بطولات المقاومين أخيراً». مع ذلك، تجزم: «لن نقبل بالمحو. سنعود إلى الطيبة ونبنيها حجراً حجراً».

وفي مارون الرأس، تختصر سناء فارس المشهد بعبارة واحدة: «لا كلمات تصف هول ما رأيت». تضيف: «كُسرت قلوبنا، لكنّ إرادتنا لم تُكسر. كل محاولات محو بلداتنا لن تمنعنا من إعادة إعمارها، أجمل مما كانت».

أسئلة «اليوم التالي»

في المرّة الأخيرة التي زار فيها حسين سرحان بلدته كفركلا، قبل نحو أسبوع من الجولة الأخيرة للحرب، كان يحاول مطابقة الصورة التي يحتفظ بها في ذاكرته مع الواقع المستجد الذي غيّر الكثير من معالمها. في كلّ زيارة، كان يكتشف تفصيلاً جديداً في حجم الدمار وشكله. في الأسابيع الأخيرة هدمت الجرّافات ما تبقّى من بيوت ومبانٍ ومعالم. كان «نموذج كفركلا» سابقًة يجري تعميمها الآن في القرى والبلدات الأخرى بوتيرة متسارعة. لم ينجُ معظم الإرث الثقافي والعمراني في البلدة القديمة من جريمة الإبادة: المقبرة التاريخية تطايرت شواهد قبورها لمسافات بعيدة قبل أن تُجرف، مقام «سيدنا الخضر»، مسجد وحسينية «الإمام الحسن»، وقبور تاريخية طُمست معالمها. معصرة زيتون يعود عمرها إلى نحو مئتي عام اختفت، وحارة كاملة تضمّ بيوتاً يتجاوز عمر بعضها ثلاثة قرون أُزيلت بالكامل. «كل حجر له قصة هنا»، يقول سرحان، الذي لم يتمكّن منذ حرب 2024 من الوصول إلى ركام منزله في محلة تل النحاس، بسبب وقوعه ضمن ما يُعرف بـ«المنطقة الحمراء». لا يعرف ابن كفركلا ماذا فعل رئيس الحكومة بغصن الزيتون الذي أهداه إياه أثناء زيارته اليتيمة إلى المنطقة قبل أشهر. لكنه، رغم صعوبة الواقع وتعقيداته، يتمسّك بأمل العودة يوماً، لإعادة بناء بيته واستئناف حياته اليومية، بما فيها رحلته المعتادة إلى الخيام لتدريس مادة الكيمياء.

في قرية الضهيرة (صور) حيث ترك عصام هايد الصالح «أعمارنا معلّقة على جدران منازلنا التي صارت رماداً»، يشتاق أستاذ المدرسة إلى أطفال «كانوا يرسمون الحياة بأقلام مُلوّنة». ويعود بالذاكرة إلى «تلك الشجرة عند أطراف عين الزرقا حيث أجلس يومياً تحتها في خيالي». يقول: «رغم كل شيء، لن نترك الضهيرة؟ سنعود لنعلّم أبناءنا أسماء الشوارع التي لم تعُد موجودة ونقول لهم: هنا كنّا وهنا سنكون».

يرى طارق مزرعاني، ابن بلدة حولا الحدودية، أن «تدمير القرى في ظل غياب أي رؤية واضحة. ويقول: «حتى لو كنّا متفائلين وتمكنّا من إعادة الإعمار، فإن شيئاً ما انتهى إلى غير رجعة. المعالم القديمة والتراثية مثلاً لا يمكن تعويضها».

محو الذاكرة المكانية

من منظور عمراني - اجتماعي، يعمل العدو على إعادة صياغة الحيّز الحدودي في القرى الجنوبية. ويريد من خلال محاولاته فرض واقع جديد أن يحوّل المنطقة الحدودية من فضاءات مأهولة بالحياة وعلاقات اجتماعية واقتصاد محلي إلى منطقة «مُعلّقة» غير مستقرّة. لذلك تتقاطع الأبعاد العسكرية لدى الإسرائيلي مع مفاهيم مثل الإبادة العمرانية وقتل البيت وتدمير ذاكرة المكان. استهداف المكان صار وسيلة لإعادة رسم الجغرافيا الاجتماعية والسياسية للقرى الحدودية، وليس مجرّد «أضرار جانبية» للحرب.

> ما يجري في بنت جبيل وعينابا وميس وعيترون وبارون ومارون وبليدا محاولة لشطب علاقة الأجيال القادمة بأهلها وأرضها وتاريخها

الجامع الأثري في بلدة باطر (علي حشيشو)

توزيعها؟ وهل يمكن أن تعود الحياة كما كانت، أو الثقة التي أعقبت حرب 2006؟». ويضيف أن هذه الأسئلة، وإن بدت مبكرة، تبقى مشروعة في ظل غياب أي رؤية واضحة. ويقول: «حتى لو كنّا متفائلين وتمكنّا من إعادة الإعمار، فإن شيئاً ما انتهى إلى غير رجعة. المعالم القديمة والتراثية مثلاً لا يمكن تعويضها».

محو الذاكرة المكانية

من منظور عمراني - اجتماعي، يعمل العدو على إعادة صياغة الحيّز الحدودي في القرى الجنوبية. ويريد من خلال محاولاته فرض واقع جديد أن يحوّل المنطقة الحدودية من فضاءات مأهولة بالحياة وعلاقات اجتماعية واقتصاد محلي إلى منطقة «مُعلّقة» غير مستقرّة. لذلك تتقاطع الأبعاد العسكرية لدى الإسرائيلي مع مفاهيم مثل الإبادة العمرانية وقتل البيت وتدمير ذاكرة المكان. استهداف المكان صار وسيلة لإعادة رسم الجغرافيا الاجتماعية والسياسية للقرى الحدودية، وليس مجرّد «أضرار جانبية» للحرب.

في تفسير مشهد المحو في قرى السّقين الأول والثاني في الجنوب، يوضح حيدر مستراح، المهندس المعمار والمتخصص في علم اجتماع وأنتروبولوجيا المدينة، دلالات المفاهيم الثلاثة المترابطة أفقياً. الأول، وهو الإبادة العمرانية (URBICIDE) وتعني قتل شروط العيش في المكان، إذ إن العدو «يستهدف العمران بوصفه نظام حياة متكاملاً، من شبكة الطرقات والمياه والكهرباء والزراعة والمساجد والمدارس والساحات وحتى المقابر، محاولاً بذلك جعل المكان غير صالح للسكن وغير قابل للاستئناف الاقتصادي وغير قابل لاستعادة النمط الروتيني اليومي الذي كان سائداً».

أمّا النظرية الثانية، أي «قتل البيت» (DOMICIDE) فتهدف إلى ضرب وحدة الانتماء. «لا تنظر إسرائيل إلى البيت بوصفه مجرّد عقار بل كسجلّ عائلي وامتداد للهوية. الناس في هذه البيوت راكموا صوراً وأرشيفاً لعائلات وعلاقات وعادات وأنماط سلوك وتاريخ ممتدّ». لذلك تسعى إسرائيل لتفكيك السلسلة التي تربط الأجيال بالمكان عبر ضرب فكرة الانتماء إلى القرية ولا سيما من أبناء الجيل الجديد.

المصطلح الثالث وهو «محو ذاكرة المكان» (MEMORICIDE)، حيث يحاول العدو تدمير وطمس المعالم المادية التي تحفظ الذاكرة الجماعية، كالمباني التراثية والساحات والمساجد والمقابر التي تحمل طابعاً تاريخياً، بهدف «قطع استمرارية التاريخ والهوية، إذ إن الربط المادي بين الأجيال والتاريخ لا يعود موجوداً، ما يؤسّس لاحقاً لإعادة صياغة الهوية».

نتيجة لكل ذلك، يرى مستراح أنّ محو العمران أشبه بـ«قطع الأسلاك»، حتى لو بقي الناس أحياء. إذ «تتفكّك المنظومة التي تجعل المجتمع واحداً، وهذه مسألة خطيرة جداً، إضافة إلى إعادة تعريف علاقة الناس بأرضهم غير الآمنة والمستقرّة». لكن، ما يمنع ذلك مستقبلاً هو «تحقّق شروط العودة المكتملة والدائمة على المستويات الأمنية والعمرانية والاقتصادية والاجتماعية والنفسيّة».

تحدّيات إعمار القرى المُهدّمة: هل يمكن ترميم الذاكرة؟

رضا صوايا

ما عجزت طائرات العدو ومدافعه ودباباته عن تدميره في القرى الجنوبية، تكفّلت به المتفجّرات، فيما تولّت الجرافات محو ما تبقّى من هياكل. لم يعد هناك ما يُبكى عليه؛ فلا أطلال أصلاً، بل اقتلاع للزمن نفسه، ونسفٌ ممنهج لطبقات متراكمة من الحياة، وتهجيرٌ للسكان نحو بدايات قسرية في أمكنة أخرى، بذاكرة جديدة.

القرى التي يجري مسحها يومياً ليست مجرّد جغرافيا أو تجمّعات سكنية، بل منظومة اجتماعية حيّة: بين الجار وجاره، بين البيت والساحة والسوق، بين الحقل والبيت، بين أجيال مضت وأخرى لم تولد بعد. بنية تشكّلت ببطء عبر قرون، وتبدّدت فجأة.

هنا تتبدّى تحدّيات إعادة الإعمار مستقبلاً. فالردم يمكن إزالته، والطرق يمكن شقّها من جديد، لكن ماذا عن إعادة بناء البيوت التقليدية؟ ماذا عن المعالم التراثية والمباني الرمزية والأسواق القديمة؟ والأهم: ماذا عن روح المكان؟ عن نسيجه الاجتماعي وذاكرته العاطفية التي لا تُرمّم بالإسمنت؟ وكيف يتأثّر النسيج الاجتماعي والذاكرة العاطفية بالتحوّلات المعمارية؟ ويبقى السؤال الجوهري: كيف يمكن إعادة بناء مكان اختفت ملامحه، من دون أن تنقطع صلته بما كان عليه؟

«ما يحصل اليوم يتجاوز كل ما عرفه لبنان سابقاً»، يقول نقيب المهندسين السابق جاد تابت، مشيراً إلى أنّ «أقرب مثال يمكن استحضاره هو ما جرى في وسط بيروت التجاري، حيث لم يكن الدمار وحده كافياً لمحو المكان، فجاءت السياسات الإعمارية لاحقاً لتُتمّ عملية المسح عبر محو الماضي وبناء وسط تجاري جديد». ويلفت إلى أنّ لبنان شهد خلال حرب عام 2006 عمليات تدمير طاولت أحياء في الضاحية الجنوبية، «لكن على نطاق أضيق بكثير مما نشهده منذ عام 2024، والذي يرقى إلى عملية محو شبه شاملة للماضي».

وبحسب تابت، فإن الوقائع الجغرافية الراهنة تفرض إعادة النظر جذرياً في مسألة الإعمار، إذ بات من المُتعذّر الاعتماد على المخططات السابقة. فـ«المخططات التوجيهية لهذه المناطق تعود إلى السبعينيات والثمانينيات، وكانت تستند إلى واقع لم يعد قائماً، فيما تغيّرت مقاربة التنظيم المدني بشكل جذري منذ ذلك الحين».

ما العمل إذاً؟

يشدّد تابت على أنّه، في ظل الواقع الراهن، «لا يمكن الحديث عن إعادة بناء من دون استحضار البعد الترابي، وهو حتى لو كان قد اختفى ماديّاً، لا يزال حيّاً في ذاكرة الناس». ومن هنا، يرى أن إعادة الإعمار يجب أن تسعى إلى إحياء هذه الذاكرة، وإن لم يكن ذلك عبر استنساخ الشكل المعماري السابق حرفياً، بل من خلال الحفاظ على العلاقة العضوية بين البعدين الهندسي والاجتماعي: علاقة البيت بمحيطه، بالمساحات العامة، بالشوارع، بالبيئة، وبالحقول والمساحات الزراعية.

> التحدّي يكمن في تحقيق توازن بين الحفاظ على الهوية المعمارية ومواكبة متطلّبات البناء الحديث بعيداً عن تجارب سريعة كمشروع «وعد»

وبحسب تابت، فإن الهدف يجب أن يكون الحفاظ على الطابع العام للقرى، حتى وإن اختلفت تفاصيل البناء، معتبراً أن هذا الخيار بحدّ ذاته «فعل مقاومة». ويكفي إجراء مقارنة بسيطة بين قرانا والمستوطنات المقابلة، لنلاحظ أن هذه الأخيرة لا تمتّ إلى محيطها ولا إلى الطبيعة ولا إلى الذاكرة بصلة، وهي مجرّد تجمّعات مُستوردة ومزروعة بلا جذور».

في المقابل، يقدّم المهندس المعماري والمرمّم أنطوان فشفش مقاربة أكثر تمسّكاً بإعادة إنتاج الشكل السابق، إذ إنه «في حالات الدمار الشامل، ولا سيما في القرى ذات القيمة التراثية العالية، ينبغي إعادة بنائها كما كانت»، مستشهداً بتجارب مدن أوروبية أعادت تشييد نفسها بعد الحرب العالمية الثانية وفق نماذجها الأصلية. ويشير إلى أن ما قد يساعد في ذلك هو توافر الخرائط الجوية طويلة الأمد والصور، التي يمكن الارتكاز عليها «لإعادة تشكيل النسيج العمراني التقليدي إلى أقصى حد ممكن، بما يواجه محاولات إسرائيل محو التاريخ من جذوره». لكنه يلفت في الوقت نفسه إلى حدود هذه المقاربة، موضحاً أنّ «أي بناء يتضرّر بنسبة تفوق 50% يفقد أصالته. يمكن إعادة تشييد منزل تراثي بشكل مطابق تقريباً، لكنه لن يكون البيت نفسه بما يحمله من تاريخ وذاكرة». وينبّه فشفش من مخاطر «العمران العشوائي الهائل» في الجنوب، معتبراً أنّ «هذا الواقع على مأسويّته، قد يشكّل فرصة لإعادة رسم مخططات توجيهية حديثة، وتنظيم الإفراز العقاري، وبناء نموذج يحترم الأثر البيئي ويمنع التعدّيات ويسمح ببناء أبنية متجانسة». وبرأيه، فإن التحدّي يكمن في تحقيق توازن دقيق بين الحفاظ على الهوية المعمارية ومواكبة متطلّبات البناء الحديث، ضمن رؤية طويلة الأمد لا يمكن اختزالها أو مقارنتها بتجارب سريعة كمشروع «وعد» في الضاحية الجنوبية بعد حرب 2006.

وحول إمكان نشوء تعارض بين الحاجة الملحّة إلى إعادة السكان إلى قراهم ومتطلّبات إعادة إعمار مدروسة تقنياً وهندسياً، ولا سيما في ظل محدودية الموارد المالية التي يُرجّح أن تُخصّص أساساً لتأمين السكن لأكبر عدد ممكن من المتضرّرين، بدلاً من إعادة بناء دقيقة للبيوت التراثية، يلفت فشفش إلى أن «هذه الإشكالية برزت سابقاً بعد حرب الجبل، حين حصل الأهالي على تعويضات زهيدة، ما اضطرهم إلى التكيّف مع الإمكانات المُتاحة، فانعكس ذلك تشوّهاً عمرانياً واضحاً. ومع ذلك، يبقى ما جرى هناك غير قابل للمقارنة بحجم الكارثة التي يشهدها الجنوب اليوم».

أمّا في ما يخصّ البيوت الجاهزة كخيار مطروح، فيشدّد كلّ من تابت وفشفش على إمكان اعتمادها كحلّ مرحلي، شرط أن تبقى مؤقّتة، وأن تأتي ضمن رؤية تخطيطية واضحة ومتكاملة، تحول دون تحوّلها إلى واقع دائم يفاقم الفوضى العمرانية.

الطوبوغرافيا أول خطوة نحو العودة

في لحظة يختفي فيها كل ما كان يدلّ على الحدود، يصبح السؤال الأول ليس كيف نبني، بل أين نبني؟ هنا تحديداً يدخل العمل الطوبوغرافي كنقطة انطلاق أساسية لأي عودة.

يقول سركيس فدعوس، نقيب الطوبوغرافيين المُجازين في لبنان ورئيس الاتحاد العربي للمساحة، إن «أي عمل إنشائي، وفي أي ظرف، يستحيل أن يكون صحيحاً من دون أن يسبقه عمل طوبوغرافي». وفي حالة التدمير الواسع الذي طاول عدداً من القرى الجنوبية ومحو أحياء في الضاحية الجنوبية، يشدّد فدعوس على أن التقنيات الحديثة تتيح إعادة رسم الحدود «بدقّة وكما كانت سابقاً»، وإعادة كل مالك عقار إلى ملكه، بفضل شبكة الإحداثيات المتوافرة لدى مديرية الشؤون الجغرافية في قيادة الجيش ومصلحة المساحة». ويلفت أيضاً إلى أن «كل التجهيزات والتقنيات المطلوبة لمثل هذا العمل الدقيق والواسع متوافرة لدى مكاتب الطوبوغرافيا في لبنان، وبمعايير عالمية متقدّمة».

لكنّ الطوبوغرافيا، رغم مركزيتها، ليست سلطة مُطلقة. فهي تقف عند حدود تحديد المساحات وتثبيت الإحداثيات بأعلى درجات الدقّة الممكنة، «أمّا كل ما يتجاوز ذلك من نزاعات عقارية أو تعدّيات أو مخالفات فيخرج من أيدي الخبراء. الطوبوغرافيون إلى القضاء، العقاري».

ولا تقف المسألة عند حدود القياس، بل تمتد إلى طبيعة الأرض نفسها، إذ قد تؤدّي التفجيرات العنيفة إلى تغيير خصائص التربة إلى درجة تجعلها غير صالحة للبناء، ما يستدعي، كما يقول فدعوس، «فحوصات جيولوجية دقيقة تسبق أي مشروع إعمار في كل الظروف». ويختم محذّراً من الاعتماد على غير المختصّين في أعمال الطوبوغرافيا، «وهي ظاهرة تتكرر وتنتج منها نزاعات عقارية مُعقّدة، وتؤدّي أحياناً إلى حرمان المتضرّرين من حقوقهم بسبب اللجوء إلى أشخاص غير مُجازين أو غير منتسبين إلى النقابة».

الحرب الكونية ضد المقاومة

أكثر من مليون شخص في دائرة الخطر الغذائي

زينب بزي

صنّف تقرير «التصنيف المرحلي المتكامل للأمن الغذائي» الصادر عن منظمة «فاو» ووزارة الزراعة اللبنانية وبرنامج الأغذية العالمية، أكثر من ربع سكان لبنان، أو 1,24

يُرجّح أن ترتفع نسبة المُصنّفين ضمن مستويات «الطوارئ الغذائية» من سكان قضاءَي بنت جبيل ومرجعيون إلى 65%

مليون مقيم، ضمن مستوى «انعدام أمن غذائي حادّ». جاء هذا التصنيف إثر الحرب الأخيرة، إذ بلغ عدد المُصنّفين ضمن هذا المستوى قبل الحرب، وتحديداً في شهرَيْ تشرين الثاني 2025 وآذار 2026 نحو 874 ألفاً، أي إن الزيادة التي طرأت على المُصنّفين بسبب الحرب تبلغ 367 ألفاً. باختصار، تشير أرقام التقرير إلى أنّ القدرة على العيش باتت مُهدّدة مع اتّساع النزوح، وارتفاع الأسعار وتراجع المساعدات وشبه الغياب التام للدولة وتركيزها على مسائل ذات طابع سياسي غير وطني، بينما في المقابل تتسارع وتيرة التدهور من الجنوب إلى المدن الكبرى وتنتقل الآلاف العائلات من مرحلة الضغط المعيشي إلى مستويات أكثر خطورة من انعدام الأمن الغذائي.

ولا يقتصر الأمر على هذه الزيادة، بل يشمل المخاطر التي يتطرّق إليها التقرير، زيادة في حدّة الأزمة نفسها، مرجّحاً أن يبلغ عدد الأشخاص المُصنّفين في «مرحلة الطوارئ الغذائية»، أو الأسر التي تعاني نقصاً حاداً في الغذاء وانهياراً خطيراً في سبل العيش مع ارتفاع خطر سوء التغذية، نحو 101 ألف شخص، مقابل غياب وجود لبنانيين مُصنّفين ضمن هذا المستوى سابقاً. أمّا من هم في «مرحلة الأزمة»، وهي التي تضم الأسر التي تواجه صعوبة جدّية في تأمين الغذاء وتلجأ إلى تقليص الوجبات أو الاستدانة وبيع ممتلكاتها للبقاء، فيقدّر أن يتجاوز عددهم مليوناً و140 ألف شخص.

لكنّ الكارثة لا تتوزّع بالتساوي على المناطق اللبنانية. فالجنوب تحديداً يتحوّل تدريجياً إلى بؤرة لانعدام الغذاء الأساسي في البلاد، ليس فقط بسبب القصف المباشر، بل لأنّ الحرب دمّرت الوظيفة الاقتصادية والاجتماعية الطبيعية لهذه المناطق. ففي قضاءَيْ بنت جبيل ومرجعيون، يتوقع التقرير أن يكون 65% من السكان ضمن مستويات «الأزمة أو الطوارئ» الغذائية، وهي أعلى نسبة في لبنان، بينما في صور ستبلغ النسبة 57%، وفي النبطية 51%.

هذه الأرقام لا تعني فقط أنّ الناس باتوا أفقر. بل تعني عملياً أنّ أكثر من نصف سكان بعض الأقضية لن يعودوا قادرين على تأمين الغذاء بشكل مستقرّ وآمن، أو سيصبحون مضطرين إلى تقليص وجباتهم، أو الاستدانة، أو التخلّي عن احتياجات أساسية أخرى كي يتمكنوا من شراء الطعام. ويشرح التقرير أسباب هذا التدهور الحادّ بوضوح: القصف الواسع، النزوح الجماعي، انهيار الأسواق المحلية، تراجع فرص العمل وارتفاع أسعار الغذاء والمحروقات، إضافة إلى تقلّص المساعدات الإنسانية المتوقّعة خلال الأشهر المقبلة.

«فمنذ آذار 2026، أدّى التصعيد العسكري إلى نزوح نحو 1,1 مليون شخص داخل لبنان، بحسب التقرير، أي ما يقارب خُمس السكان تقريباً، بينهم أكثر من 133 ألف شخص يعيشون في مراكز إيواء جماعية. وهذا النزوح لا ينعكس فقط على المناطق المُدمّرة، بل أيضاً على المدن والمناطق المستضيفة التي تواجه ضغطاً هائلاً على الإيجارات والخدمات والوظائف وأسعار السلع الأساسية. ولهذا تحديداً، لم تعد الأزمة محصورة بالجنوب، إذ يتوقّع التقرير أن يواجه نحو 109 آلاف شخص في بيروت مستويات حادّة من انعدام الأمن الغذائي، أي حوالي 21% من السكان الذين شملهم التحليل، فيما قد يصل العدد إلى نحو 99 ألف شخص في صيدا، و149 ألفاً في عكار، وأكثر من 161 ألف شخص في بعلبك ـ الهرمل.

لكنّ الجنوب يبقى الأكثر خطورة، لأنّ المشكلة هناك لم تعد مرتبطة فقط بالقدرة الشرائية، بل أيضاً بعمل الأسواق نفسها. فالتقرير يكشف انهيار مؤشّر أداء الأسواق التابع لبرنامج الأغذية العالمي من 7,8 نقاط في أيلول 2025 إلى 5,7 نقاط في آذار 2026، فيما انهار المؤشر في النبطية والجنوب إلى 1,7 نقطة، وهو تراجع حادّ يعكس إقفال المحال التجارية، صعوبة وصول البضائع، تراجع المخزون، وتعذّر التنقل والوصول إلى الأسواق بسبب القصف والدمار.

وتزداد الصورة قتامة مع الارتفاع الكبير في أسعار المحروقات، التي تحوّلت إلى محرّك أساسي للتضخم الغذائي. فبين منتصف شباط ومنتصف نيسان 2026، ارتفع سعر البنزين بنسبة 41% والغاز بنسبة 27%. وهذه الزيادات انعكست مباشرة على أسعار النقل، تشغيل المولّدات، كلفة الزراعة، تخزين المواد الغذائية، والسلع الأساسية. حتى ربطة الخبز سجّلت أول زيادة كبيرة منذ أيلول 2024، لترتفع بنسبة 17% خلال شهر آذار وحده. عملياً، لم تعد المشكلة الأساسية نقص الغذاء، بل عدم قدرة الناس على شرائه مع تآكل القدرة الشرائية وارتفاع الأسعار. ومع استمرار الحرب والتوترات الإقليمية وارتفاع كلفة النفط والتشغيل، يُتوقّع أن تتفاقم أزمة الأمن الغذائي وتتجاوز التقديرات الحالية.

كذلك يحذّر التقرير من أنّ تأثير الحرب الإقليمية لم يظهر بالكامل بعد. فلبنان، الذي يعتمد بشكل شبه كامل على الاستيراد، سيبقى عرضة لارتفاع أسعار النفط والشحن والتأمين وتعطّل طرق التجارة، خصوصاً إذا توسّع التوتر في المنطقة أو تأثرت حركة الملاحة في مضيق هرمز. والأخطر ربما أنّ التقرير يتوقّع تراجع المساعدات الإنسانية ابتداءً من أيار وحزيران بسبب نقص التمويل وصعوبة الوصول إلى المناطق المتضرّرة. وهذا يعني أنّ آلاف العائلات التي لا تزال اليوم بالكاد قادرة على الصمود، قد تنزلق سريعاً نحو مستويات أكثر خطورة من انعدام الأمن الغذائي.

(مروان بو حيدر)

(أهالي خليك)

«الهيئة الصحية» تتسابق مع الأزمة
خدمات واسعة... وتحدّيات متزايدة

زينب حمود

منذ الساعات الأولى لاندلاع الحرب، بدأت ملامح أزمة صحية موازية تتشكّل في لبنان، مع موجات نزوح واسعة وضغط متزايد على البنى الطبية. وفي مواجهة هذا الواقع، فعّلت «الهيئة الصحية الإسلامية» خطة طوارئ كانت قد أعدّتها مُسبقاً، لتأمين الرعاية للنازحين وللصامدين في قراهم، وتستمر في تنفيذها حتى بعد وقف إطلاق النار المؤقّت، بمشاركة نحو 900 عامل ومتطوّع، من أطباء وممرّضين ومرشدين صحيين ونفسيين. وقد خضعت الخطة لتعديل محدود، تمثّل في «استبعاد خيار التوجّه إلى سوريا، وتراجع ثقل النزوح نحو الشمال»، وفق نائب المدير العام للهيئة مالك حمزة. لكنّ جوهر التدخل بقي نفسه: الوصول إلى الناس حيث هم، وتوفير الحد الأدنى من الرعاية الصحية لهم.

منذ بداية الحرب وحتى 16 نيسان، قدّمت الهيئة نحو 331 ألف خدمة صحية ونفسية مجاناً، شملت معاينات طبية بمختلف الاختصاصات، بما فيها طب الأسنان، وفحوصاً مخبرية وصوراً شعاعية، إضافة إلى إجراءات علاجية كتنظيف الجروح وتخطيط القلب، وتوزيع الأدوية واللقاحات.

ويشرح مسؤول الفرق الصحية مصطفى مرعي أن «190 فرقة ميدانية تعمل على الأرض، منها 148 فرقة صحية قدّمت أكثر من 310 آلاف خدمة، و42 فرقة نفسية قدّمت نحو 15 ألف خدمة»، إلى جانب آلاف الاستشارات الصحية - الاجتماعية، وتوزيع مئات علب الأدوية، وتلقيح مئات الأطفال.

هذا الجهد يستند إلى شبكة من 140 مركزاً صحياً، موزّعة على مختلف المناطق، بما فيها المُصنّفة خطرة. وتتوزّع هذه المراكز بين 43 مركزاً كانت قائمة قبل الحرب، و36 مركزاً أُنشئت بعد اندلاعها لتغطية أماكن النزوح، إضافة إلى 61 مركز إيواء تُقدَّم فيها الخدمات عبر زيارات دورية، فضلاً عن عيادات نقّالة تصل إلى المناطق البعيدة عن مراكز الهيئة. ولا تقتصر الاستجابة على تثبيت هذه النقاط، بل تمتد إلى استبدال المراكز المتضرّرة سريعاً، وتوسيع الانتشار في مناطق مثل البقاع مع تزايد أعداد النازحين. ويؤكّد حمزة أن وجود هذه المراكز «يشكّل عاملاً أساسياً في شعور العائلات بالأمان، ويساهم في تثبيتها في أرضها».

ونظراً إلى الضغوطات الكبيرة على القطاع الصحي وخروج عدد من المستشفيات عن الخدمة، أطلقت الهيئة برنامج متابعة جرحى الحرب بعد خروجهم من المستشفيات، وقدّم البرنامج نحو 900 خدمة داخل المراكز، إضافة إلى متابعة 40 جريحاً في منازلهم عبر فرق تمريضية متخصّصة.

على مستوى الشراكات، يشير حمزة إلى «تعاون وثيق مع وزارة الصحة»، إضافة إلى تنسيق مع الصليب الأحمر الدولي الذي يقدّم دعماً لوجستياً ويساهم في تأمين الأدوية، فضلاً عن برامج دعم نفسي مشتركة. في المقابل، يلفت إلى «تدخّل محدود لمنظمة أطباء بلا حدود، وغياب شبه تام لبعض الجمعيات الأوروبية».

رغم المخاوف المرتبطة بالاكتظاظ في مراكز الإيواء، يؤكّد حمزة أنه، خلافاً لما حصل في الحرب الأخيرة، لم يُسجَّل تفشٍّ للأوبئة بين النازحين، ولا سيما الأمراض الجلدية المرتبطة عادة بتراجع النظافة، كالقمل والجرب. كما أن الأمراض التنفسية، رغم وجودها، «لا تزال ضمن حدود السيطرة ولم تتحوّل إلى ظاهرة». غير أن التحدّي الأبرز يبرز في مكان آخر: سلامة الغذاء، إذ تُسجَّل حالات تسمّم متكررة في عدد من مراكز الإيواء، نتيجة تراجع جودة الطعام. وفي مواجهة ذلك، تعمل فرق الهيئة على تنفيذ جولات توعية داخل المطابخ الجماعية، وفحص المياه، للحدّ من المخاطر الصحية المتزايدة.

تراجع التمويل الدولي لاحتياجات النساء إلى 12% فقط من الدعم المطلوب

وهناك الكثير من خيارات لمستشفيات وأطباء ذوي كفاءة عندما تحين لحظة الولادة». وتشرح المولى أن «المرأة الحامل تحتاج إلى مكان مريح وهدوء، والنوم على الأرض بدلاً من السرير أمر صعب، لكن ذلك لا يشكّل خطورة مباشرة على الحامل أو الجنين»، مشدّدةً على «ضرورة التركيز على مسألة النظافة، والتقيّد بنظام غذائي صحي، وعدم إغفال جانب الصحة النفسية في هذه الفترة قدر الإمكان».

إصابات بالحساسية والالتهابات

في جولاتها على النساء في مراكز النزوح، لاحظت المولى «تسجيل إصابات متكررة بالحساسية». وعندما استفسرت عن ظروف الحياة داخل المراكز، تبيّن أن «السبب هو انقطاع المياه واستخدام المناديل المبلّلة غير المُخصّصة للأماكن الحساسة». وإضافة إلى نقص المياه، تعاني النساء من نقص في كميات الفوط الصحية التي تصلهن، و«وصول بعض العلامات التجارية غير المعروفة في الأسواق اللبنانية، وغير الصحية، وما ينتج منها من إصابات بالالتهابات»، وفقاً للمسؤولة عن مركز الإيواء في مدرسة فخر الدين الرسمية، عن النساء النازحات.

ومأساة النساء النازحات بدأت منذ اللحظة الأولى للعدوان، «مع اتخاذ خيارات مؤلمة، كالفرار من منازلهن ليلاً دون وجهة واضحة، وتهديد سبل عيش عائلاتهن، وعدم الشعور بالأمان»، وفقاً لقول ممثّلة «هيئة الأمم المتحدة للمرأة في لبنان»، جيلان المسيري، في المؤتمر الصحافي لوكالات الأمم المتحدة في جنيف في 27 آذار الماضي. وفيه، أشارت المسيري إلى تزايد احتياجات الصحة النفسية، إذ «تعاني النساء من الخوف المستمر والأرق والإرهاق، بينما يحاولن في الوقت نفسه تهدئة أطفالهن الخائفين»، ولا سيما مع «وجود 85% من النازحات في شقق مكتظة، من دون ترتيبات رسمية، حيث يفوّتن وجبات الطعام ليتمكن أطفالهن من الأكل». أمّا النساء الأكبر سناً، وهنّ أصلاً في وضع هش، فـ«يُحرمن من الأدوية الأساسية لأمراضهن المزمنة، ما يعرّض حياتهن للخطر».

ويزداد واقع النساء خطورة مع تراجع التمويل الدولي إلى 12% فقط من الدعم الذي طلبه «صندوق الأمم المتحدة للسكان» من أجل تأمين الاحتياجات الطارئة للنساء، ويبلغ 12 مليون دولار، الأمر الذي «يهدّد استمرار خدمات الصحة الجنسية والإنجابية الأساسية وخدمات الحماية بعد نيسان، ويترك أكثر من 225 ألف امرأة وفتاة من دون رعاية حيوية». إزاء ذلك كلّه، لا بد من السؤال: أين الحكومة اللبنانية وخصوصاً وزارة الشؤون الاجتماعية، عدا عشرات الجمعيات غير الحكومية المعنية، بالاسم، بالنساء، من كل ذلك؟ ولماذا يقف المجتمع الدولي والمنظّمات الراعية لحقوق النساء والفئات الأكثر هشاشة متفرّجين على معاناة النساء؟

المعاناة أقسى عند الحوامل وحديثات الإنجاب وكبيرات السنّ
ربع نساء لبنان يستنزفهنّ النزوح

زينب حمود

في ظل الهدنة الهشّة القائمة، يستمر النزوح من الجنوب وبقاع والضاحية الجنوبية لبيروت، الذي «يستنزف النساء والفتيات في المقام الأول»، وفقاً للمديرة الإقليمية لـ«صندوق الأمم المتحدة للسكان في الدول العربية»، ليلى بكر. والاستنزاف يطاول عموم النساء في مراكز الإيواء والمنازل المكتظة، بسبب النقص في مرافق المياه والصرف الصحي والاحتياجات النسائية، فضلاً عن مخاطر التعرّض للعنف القائم على النوع الاجتماعي من استغلال وتحرّش وعزلة. وتتفاقم المعاناة أكثر عند النساء الكبيرات في السن والحوامل والحديثات الولادة، في ظلّ النقص الحادّ في الرعاية الصحية اللازمة، وكذلك النساء ذوات الإعاقة نظراً إلى وجودهنّ في مراكز نزوح غير مُهيّأة لهن.

مطلع الشهر الجاري، أفاد الصندوق الأممي بأن عدد النازحات يتجاوز 620 ألفاً، أي قرابة رُبع النساء والفتيات في لبنان. وبين النازحات: نحو 13,500 امرأة حامل يكافحن من أجل الحصول على الرعاية الصحية والخدمات الأساسية. وفي ظل استمرار العدوان في الجنوب، تعاني 1,700 امرأة حامل من انقطاع تام عن أي رعاية أمومة أساسية، وستضع 200 امرأة منهن مواليدهن في الشهر المقبل، وسط تحدّيات في الوصول إلى القابلات، أو الرعاية الصحية، أو المرافق الطبية، أو الدعم الكافي.

مرارة الحمل في النزوح

وتروي نساء حوامل في مراكز النزوح في بيروت لـ«الأخبار» تفاصيل معاناتهن، بما في ذلك صعوبة التنقّل والوصول إلى المراحيض بسبب وجودهنّ في الطوابق العليا، والنوم على فرش رقيقة على الأرض، إضافة إلى خطر التقاط العدوى، في ظلّ الاكتظاظ. تقول سميرة، الحامل في شهرها التاسع، مثلاً، إنها تعاني من وجودها مع أكثر من عائلة في غرفة واحدة، حيث «يشربون النرجيلة في الداخل». وتُضيف أنها تعاني منذ وصولها من «الرشح الشديد نتيجة الازدحام وانتشار العدوى بسهولة». وبعدما ظلّت سميرة يوماً كاملاً تحت القصف في النبطية حتى لا تخاطر بصحة الجنين على الطريق المزدحمة بسيارات النازحين، تُشكّك اليوم في قدرتها على حماية طفلها بعد الولادة، إذا بقيت داخل مركز النزوح.

وتجمع النساء الحوامل على القلق الذي يراودهن حول سلامة الأجنة، في ظلّ التصعيد الإسرائيلي، ويغرقن في دوامة من الأسئلة: كيف سيكون الوضع الأمني عندما يحين موعد الولادة؟ هل سيكون هناك مستشفى قادر على استقبالنا؟ وهل سننجح في تأمين احتياجات الطفل الرئيسية من حليب وحفاضات؟ والسؤال الأخير يراود النساء الحديثات الإنجاب أيضاً، وسط النقص الحادّ في الحليب والحفاضات، وقيام العائلات بتأمينها على نفقتها الخاصة. لكن «ماذا لو طالت الحرب؟ هل سأبقى قادرة على شرائها»، تسأل ديانا، أمّ لطفل عمره ستة أشهر. تذكّرها القابلة القانونية، إيمان المولى، التي تجول على النساء في مراكز النزوح للمعاينة والاستشارات: «لا تنسي، هناك لقاح في هذه السنّ أيضاً»، فتهزّ ديانا برأسها وتردّ ببرودة: «إن شاء الله».

يضاف إلى ما سبق، قلق النساء الحوامل من اقتراب موعد الولادة قبل تأمين جهاز الطفل. في مدرسة فخر الدين الرسمية في منطقة النويري، تشكو مروى، الحامل في شهرها الثامن، من مغادرتها منزلها في الجنوب على عجل، قبل أن تحمل أغراض الطفل الخاصة معها. تتدخّل المسؤولة في المركز، وترد: «نحن لا نتركها، عندما تدخل في الشهر التاسع نطلب تجهيزها سريعاً، ونحضّر، إذا سنحت الظروف، استقبالاً للأم والابن يشمل توزيع المغلي والشوكولا».

وردداً على مخاوف النساء الحوامل من إقفال العيادات في المناطق الخطرة، وصعوبة تواصلهن مع الطبيب الخاص الذي تابع حملهن قبل الحرب، تطمئن المولى النساء بأنّهن «لسن متروكات لمصيرهن، إضافة إلى تقلّص المساعدات الإنسانية المتوقّعة خلال الأشهر المقبلة.

(مروان بو حيدر)

إعلانات رسمية

إعلان
أمانة السجل العقاري في جزين
طلب جان مارون لبوس سند بدل ضائع للعقار /1572/ القسم 7 جزين.
للمُعترض 15 يوماً للمُراجعة
أمين السجل العقاري
باسم حسن

إعلان
صادر عن أمانة السجل التجاري في النبطية
بمُوجب الطلب المُقدم من المُستدعي: علي محمد ضاهر بواسطة وكيله المدني محمد قنبر بتاريخ 2026/2/19 والمُسجل تاجراً لدى أماناتنا برقم 1913/عام تاريخ 1994/3/28 تحت اسم: صيدلية المستقبل والذي يطلب بمُوجبه شطب قيده نهائياً من السجل التجاري في النبطية وبتاريخ 2026/2/24 تقرر النشر.
الرقم المالي: /125209/.
مُهلة الاعتراض عشرة أيام تلي آخر نشر
أمين السجل التجاري في النبطية
فاطمة فحص

الأخبار
إشتراكات
إعلانات رسمية ومبوبة
وفيات
www.al-akhbar.com
71-513571
01-759500

الحرب الكونية ضد المقاومة

أمّة حزب الله: العشق كقوّة ثورية

سيف دعنا*

«هُمْ عَيْشُ العِلْمِ، وَمَوْتُ الْجَهْلِ، يُخْبِرُكُمْ حِلْمُهُمْ عَنْ عِلْمِهِمْ، وَظَاهِرُهُمْ عَنْ بَاطِنِهِمْ، وَصَمْتُهُمْ عَنْ حِكَمِ مَنْطِقِهِمْ، لا يُخَالِفُونَ الْحَقَّ وَلا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ، وَهُمْ دَعَائِمُ الإِسْلامِ، وَوَلائِجُ الاعْتِصَامِ، بِهِمْ عَادَ الْحَقُّ فِي نِصَابِهِ، وَانْزَاحَ الْبَاطِلُ عَنْ مَقَامِهِ، وَانْقَطَعَ لِسَانُهُ عَنْ مَنْبِتِهِ، عَقَلُوا الدِّينَ عَقْلَ وِعَايَةٍ وَرِعَايَةٍ، لا عَقْلَ سَمَاعٍ وَرِوَايَةٍ، فَإِنَّ رُوَاةَ الْعِلْمِ كَثِيرٌ، وَرُعَاتَهُ قَلِيلٌ» الإمام علي بن أبي طالب عن آل البيت (نهج البلاغة: الخطبة 237)

..وجاء في «مفاتيح الغيب» للإمام فخر الرازي، في أسباب نزول الآية الكريمة، «مِنَ النَّاسِ مَن يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ، وَاللَّهُ رَؤُوفٌ بِالْعِبَادِ» (البقرة 207)، أنها «نزلت في علي بن أبي طالب (حين) بات في فراش رسول الله (ص) ليلة خروجه إلى الغار». وتفصيل ذلك، كما جاء في الأثر، وكما ترويه الأسانيد، أنه في ليلة من أوائل شهر ربيع الأول، في السنة الثالثة عشرة من البعثة النبوية، لمّا عزم النبي (ص) على الهجرة من مكة إلى المدينة، وفيما كان المشركون يترصّدون براره، سألَ علياً (ع) أن يبيتَ في فراشه، وأن يتسجّى ببرده، لِيُخَيِّلَ للراصدين أنّ النبي (ص) لا يزال في مكانه، ففعل. وفي تجسيد لأسمى معاني الإيثار والتفاني والفداء، ودلالة على الاستعداد العالي لبذل النفس والروح فداءً للإسلام والرسول الكريم، تذكر بعض الروايات وتضحياتها، كثيراً غريزة البقاء الإنسانية. وفي «نهج البلاغة» يؤسس الإمام علي لما يمكن أن يسمى تراتيبية العبادة، حيث خص عبادة الأحرار وميزها عن غيرها كعبادة وجدانية خالصة، ليس هدفها، كغيرها، الطمع في الجنة أو الرغبة في الانعتاق من النار. فجوهر عبادة العاشقين، كما أسّس الإمام: «اللهم ما عبدتك خوفاً من نارك، وما عبدتك طمعاً في جنتك، وإنما وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك».

ولا شك أن هذه الحادثة التأسيسية، ليلة الهجرة، تؤصل لما يمكن تسميته بـ«أنطولوجيا العشق» و«أنطولوجيا القوة» في التصوّف العلوي، حيث لا تُستمد الصلابة من القوة المادية أو مما هو مادي، بل من العشق. بوصفه حالاً وجودية تتجاوز كثيراً المألوف عند البشر في الحب والتضحية والتفاني. فمع عشق العارف، كما في نموذج الإمام علي، تسقط من عين العاشق كلياً، كل هيبة، وأي هيبة، للمخلوقين مهما كانوا، ومن كانوا («والله لو لقيتهم فرداً وهم ملء الأرض ما بالبت ولا استوحشت»). هكذا، لا يتم، أو لا يعاد، تعريف شخصية الإمام علي بن أبي طالب فقط، بل يتم أيضاً إدراك حقيقة وجوهر هذه الشخصية الفذة والاستثنائية في تاريخ العرب والإسلام والعالم. فلم تعد صورة وحقيقة الإمام علي (ع) بعد تلك الليلة تقتصر في الوعي الجمعي للمسلمين على كونه فقيهاً لا يشقّ له غبار («أعلمُ أمتي من بعدي علي بن أبي طالب»)، أو بابا لعلم فحسب («أنا مدينة العلم وعلي بابها»)، أو فارس الإسلام الأول والأشجع والأنبل («لا فتى إلا علي، ولا سيفَ إلا ذوالفقار»)، أو حتى أميراً ومولى للمؤمنين («من كنت مولاه، فعلي مولاه»)، بل يُنظر إليه أيضاً بوصفه قطب الروحانية الأول الذي أرسى دعائم أنطولوجيا العشق كأساس للصلابة الروحية. وهذا العشق العلوي، بصفته جوهراً وجودياً، هو الذي تَفَوّقَ مهما كان من كانت، ويجعل، في المقابل، من التضحية والتفاني والإيثار مصدراً للقوة التي لا تُقهر، مُشكّلاً ومؤسساً بذلك للماهية العميقة للعرفان والتصوف الإسلامي عبر العصور («إن السعادة فيها تُرك ما فيها»). فالعشق والوجود، متراطبان، متلازمان، وهذا الترابط اختارا الحياة. فأوحى الله إليهما: أفلا كنتما مثل علي بن أبي طالب؟ أخيت بينه وبين نبيي محمد، فنام على فراشه بفديه بنفسه ويؤثره بالحياة، انزلا إلى الأرض فاحفظاه من عدوه».

لم تكن هذه مجرد حادثة أخرى من الفداء والتضحية وحتى التفاني في التاريخ الإسلامي، إذاً، بل مثّلت تلك الليلة من ربيع الأول في العام الثالث عشر للبعثة النبوية، بلا أدنى شك، لحظة فارقة جداً في تشكيل وتأسيس الوعي الإسلامي بفلسفة وطقوس التضحية والفداء. ولهذا أيضاً، تتسم، بالضرورة، أي مقاربة تاريخية تحليلية لحدث «المبيت» في الوجدان الإسلامي عموماً، والعرفاني على وجه الخصوص، ببعدٍ دلالي يتجاوز الرواية والسرد التاريخي التقليدي إلى آفاقٍ أنطولوجية/وجودية ومعرفية عميقة جداً جداً، لتكون هذه الواقعة تجلياً ساطعاً لمفهوم البعد الوجودي للنفس والروح، حيث تذوب وتتفانى الذات كلياً في إرادة الحق، وحيث يرتبط الوجود الشخصي كله بسلامة الرسالة وسلامة المقام النبوي بوصفه قطب الرحى الوجودي، ما يؤشر لبلوغ الإمام علي مرتبة التفاني التام في المحبوب، برغم صغر سنه، وبرغم حداثة الرسالة والبعثة النبوية، حينها.

لهذا بالضبط يُنظر في الفكر العرفاني، لا سيما عند محيي الدين بن عربي وشراحه، كما في التراث العرفاني الذي ينهل من علم الشيخ الأكبر، إلى تضحية الإمام علي (ع) بوصفها المصداق الأتمّ لقوله تعالى «يشري نفسه»، أي يبيعها في سبيل الله والعقيدة. فالبيع هنا ليس تبادلاً نفعياً، بل هو تفانٍ كامل وتضحية بالروح في محبة الله ورسوله وفداء للرسالة. ربما لهذا السبب بالذات يربط العرفاء القاعدة الذهبية الأوضح والأعمق والأشمل والأشهر للعشق عند ابن عربي، «كُلُّ مَحَبَّةٍ لا يُؤثِرُ صاحِبُها إرادةَ مَحبوبِهِ عَلى إرادةِ نَفسِهِ فَلا يُعَوِّلُ عَلَيها»، بموقف وفعل الإمام علي في تلك الليلة. فلقد كانت، وأصبحت، وظلت إرادة وسلامة المحبوب (أوَتسلم يا رسول الله؟) هي المحرك الوحيد للفعل الوجودي، متجاوزةً، بتفانيها وتضحياتها، كثيراً غريزة البقاء الإنسانية. وفي «نهج البلاغة» يؤسس الإمام علي لما يمكن أن يسمى تراتيبية العبادة، حيث خص عبادة الأحرار وميزها عن غيرها كعبادة وجدانية خالصة، ليس هدفها، كغيرها، الطمع في الجنة أو الرغبة في الانعتاق من النار. فجوهر عبادة العاشقين، كما أسّس الإمام: «اللهم ما عبدتك خوفاً من نارك، وما عبدتك طمعاً في جنتك، وإنما وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك».

ولا شك أن هذه الحادثة التأسيسية، ليلة الهجرة، تؤصل لما يمكن تسميته بـ«أنطولوجيا العشق» و«أنطولوجيا القوة» في التصوّف العلوي، حيث لا تُستمد الصلابة من القوة المادية أو مما هو مادي، بل من العشق. بوصفه حالاً وجودية تتجاوز كثيراً المألوف عند البشر في الحب والتضحية والتفاني. فمع عشق العارف، كما في نموذج الإمام علي، تسقط من عين العاشق كلياً، كل هيبة، وأي هيبة، للمخلوقين مهما كانوا، ومن كانوا («والله لو لقيتهم فرداً وهم ملء الأرض ما بالبت ولا استوحشت»). هكذا، لا يتم، أو لا يعاد، تعريف شخصية الإمام علي بن أبي طالب فقط، بل يتم أيضاً إدراك حقيقة وجوهر هذه الشخصية الفذة والاستثنائية في تاريخ العرب والإسلام والعالم. فلم تعد صورة وحقيقة الإمام علي (ع) بعد تلك الليلة تقتصر في الوعي الجمعي للمسلمين على كونه فقيهاً لا يشقّ له غبار («أعلمُ أمتي من بعدي علي بن أبي طالب»)، أو بابا لعلم فحسب («أنا مدينة العلم وعلي بابها»)، أو فارس الإسلام الأول والأشجع والأنبل («لا فتى إلا علي، ولا سيفَ إلا ذوالفقار»)، أو حتى أميراً ومولى للمؤمنين («من كنت مولاه، فعلي مولاه»)، بل يُنظر إليه أيضاً بوصفه قطب الروحانية الأول الذي أرسى دعائم أنطولوجيا العشق كأساس للصلابة الروحية. وهذا العشق العلوي، بصفته جوهراً وجودياً، هو الذي تَفَوّقَ مهما كان من كانت، ويجعل، في المقابل، من التضحية والتفاني والإيثار مصدراً للقوة التي لا تُقهر، مُشكّلاً ومؤسساً بذلك للماهية العميقة للعرفان والتصوف الإسلامي عبر العصور («إن السعادة فيها تُرك ما فيها»). فالعشق والوجود، متراطبان، متلازمان، وهذا الترابط اختارا الحياة. فأوحى الله إليهما: أفلا كنتما مثل علي بن أبي طالب؟ أخيت بينه وبين نبيي محمد، فنام على فراشه يفديه بنفسه ويؤثره بالحياة، انزلا إلى الأرض فاحفظاه من عدوه».

لم تكن هذه مجرد حادثة أخرى من الفداء والتضحية وحتى التفاني في التاريخ الإسلامي، إذاً، بل مثّلت تلك الليلة من ربيع الأول في العام الثالث عشر للبعثة النبوية، بلا أدنى شك، لحظة فارقة جداً في تشكيل وتأسيس الوعي الإسلامي بفلسفة وطقوس التضحية والفداء. ولهذا أيضاً، تتسم، بالضرورة، أي مقاربة تاريخية تحليلية لحدث «المبيت» في الوجدان الإسلامي عموماً، والعرفاني على وجه الخصوص، ببعدٍ دلالي يتجاوز الرواية والسرد التاريخي التقليدي إلى آفاقٍ أنطولوجية/وجودية ومعرفية عميقة جداً جداً، لتكون هذه الواقعة تجلياً ساطعاً لمفهوم البعد الوجودي للنفس والروح، حيث تذوب وتتفانى الذات كلياً في إرادة الحق، وحيث يرتبط الوجود الشخصي كله بسلامة الرسالة وسلامة المقام النبوي بوصفه قطب الرحى الوجودي، ما يؤشر لبلوغ الإمام علي مرتبة التفاني التام في المحبوب، برغم صغر سنه، وبرغم حداثة الرسالة والبعثة النبوية، حينها.

لهذا بالضبط يُنظر في الفكر العرفاني، لا سيما عند محيي الدين بن عربي وشراحه، كما في التراث العرفاني الذي ينهل من علم الشيخ الأكبر، إلى تضحية الإمام علي (ع) بوصفها المصداق الأتمّ لقوله تعالى «يشري نفسه»، أي يبيعها في سبيل الله والعقيدة. فالبيع هنا ليس تبادلاً نفعياً، بل هو تفانٍ كامل وتضحية بالروح في محبة الله ورسوله وفداء للرسالة. ربما لهذا السبب بالذات يربط العرفاء القاعدة الذهبية الأوضح والأعمق والأشمل والأشهر للعشق عند ابن عربي، «كُلُّ مَحَبَّةٍ لا يُؤثِرُ صاحِبُها إرادةَ مَحبوبِهِ عَلى إرادةِ نَفسِهِ فَلا يُعَوِّلُ عَلَيها»، بموقف وفعل الإمام علي في تلك الليلة. فلقد كانت، وأصبحت، وظلت إرادة وسلامة المحبوب (أوَتسلم يا رسول الله؟) هي المحرك الوحيد للفعل الوجودي، متجاوزةً، بتفانيها وتضحياتها، كثيراً غريزة البقاء الإنسانية.

وفي «نهج البلاغة» يؤسس الإمام علي لما يمكن أن يسمى تراتيبية العبادة، حيث خص عبادة الأحرار وميزها عن غيرها كعبادة وجدانية خالصة، ليس هدفها، كغيرها، الطمع في الجنة أو الرغبة في الانعتاق من النار. فجوهر عبادة العاشقين، كما أسّس الإمام: «اللهم ما عبدتك خوفاً من نارك، وما عبدتك طمعاً في جنتك، وإنما وجدتك أهلاً للعبادة فعبدتك».

ولا شك أن هذه الحادثة التأسيسية، ليلة الهجرة، تؤصل لما يمكن تسميته بـ«أنطولوجيا العشق» و«أنطولوجيا القوة» في التصوّف العلوي، حيث لا تُستمد الصلابة من القوة المادية أو مما هو مادي، بل من العشق. بوصفه حالاً وجودية تتجاوز كثيراً المألوف عند البشر في الحب والتضحية والتفاني. فمع عشق العارف، كما في نموذج الإمام علي، تسقط من عين العاشق كلياً، كل هيبة، وأي هيبة، للمخلوقين مهما كانوا، ومن كانوا («والله لو لقيتهم فرداً وهم ملء الأرض ما بالبت ولا استوحشت»). هكذا، لا يتم، أو لا يعاد، تعريف شخصية الإمام علي بن أبي طالب فقط، بل يتم أيضاً إدراك حقيقة وجوهر هذه الشخصية الفذة والاستثنائية في تاريخ العرب والإسلام والعالم. فلم تعد صورة وحقيقة الإمام علي (ع) بعد تلك الليلة تقتصر في الوعي الجمعي للمسلمين على كونه فقيهاً لا يشقّ له غبار («أعلمُ أمتي من بعدي علي بن أبي طالب»)، أو بابا لعلم فحسب («أنا مدينة العلم وعلي بابها»)، أو فارس الإسلام الأول والأشجع والأنبل («لا فتى إلا علي، ولا سيفَ إلا ذوالفقار»)، أو حتى أميراً ومولى للمؤمنين («من كنت مولاه، فعلي مولاه»)، بل يُنظر إليه أيضاً بوصفه قطب الروحانية الأول الذي أرسى دعائم أنطولوجيا العشق كأساس للصلابة الروحية. وهذا العشق العلوي، بصفته جوهراً وجودياً، هو الذي تَفَوّقَ مهما كان من كانت، ويجعل، في المقابل، من التضحية والتفاني والإيثار مصدراً للقوة التي لا تُقهر، مُشكّلاً ومؤسساً بذلك للماهية العميقة للعرفان والتصوف الإسلامي عبر العصور («إن السعادة فيها تُرك ما فيها»). فالعشق والوجود، متراطبان، متلازمان، وهذا الترابط اختارا الحياة. فأوحى الله إليهما: أفلا كنتما مثل علي بن أبي طالب؟ أخيت بينه وبين نبيي محمد، فنام على فراشه يفديه بنفسه ويؤثره بالحياة، انزلا إلى الأرض فاحفظاه من عدوه».

لم تكن هذه مجرد حادثة أخرى من الفداء والتضحية وحتى التفاني في التاريخ الإسلامي، إذاً، بل مثّلت تلك الليلة من ربيع الأول في العام الثالث عشر للبعثة النبوية، بلا أدنى شك، لحظة فارقة جداً في تشكيل وتأسيس الوعي الإسلامي بفلسفة وطقوس التضحية والفداء. ولهذا أيضاً، تتسم، بالضرورة، أي مقاربة تاريخية تحليلية

> لولا إسناد السيد الشهيد وعترته المقاومة لأهل فلسطين في أوج مذبحة غزة، ومعهم أهل اليمن الأشراف فقط، برغم الأثمان الهائلة التي ترتبت على هذا الموقف، لأصبح هذا العالم هيكلاً خاوياً من المعنى

دماء الحسين الشريفة في كربلاء، المصداق الأتم والأهم لما يصفه أهل العرفان بـ«السريان الوجودي»، حيث تغدو التضحية هي القوة المحركة لاستمرارية الأمّة في سعيها نحو الكمال. ولهذا، لم تكن كربلاء حادثة تاريخية كبرى أخرى، بل كانت الذروة الوجودية لتجربة العشق الإلهي، ولم يكن الحسين الشهيد بطلاً تاريخياً آخر، بل، جسّد هذا الإمام العاشق التمثيل الأصدق والأتم لـ«التعيّن اللاهوتي»، خروج الذات الإلهية من حال الغيب المطلق، أو «اللا تعيّن»، إلى حال الظهور والتحقق في صورة الإنسان الكامل الذي يجمع بين صور وأسماء وصفات متعددة. ففي كربلاء، ينظر العرفاء إلى شخص الإمام الحسين على أنه تعيّنَ لصفات الجلال التي تجلت في القهر، والصبر العظيم أمام زخم الابتلاء، والتضحية من جهة، ومن جهة أخرى، صفات الجمال، التي تجلت بالرضى المطلق، والتسليم الكامل، والعشق الذي أجملته السيدة زينب بـ«ما رأيت إلا جميلاً»، معلنةً بذلك انتصار الرؤية الشهودية التي تبصر باطن الرحمة على الفجيعة المادية التي لا تدرك إلا ظاهر العذاب، لتصبح كربلاء معراجاً وجودياً يجمع بين جلال القهر وجمال الرضى والتسليم.

لهذا، لم تكن كربلاء الاختبار الأقصى والأقسى والأصعب لصدق الإمام العاشق فقط، بل وأيضاً اللحظة المركزية والمفصلية في التعيّن الزماني، حيث بلغت المحنةُ ذروتها بوصفها الامتحان الأقصى لصدق الإرادة العاشقة. فليست كربلاء مجرد واقعة حربيّة، بل كانت مفصلاً وجودياً يختبرُ ثبات الجوهر الإنساني في برزخ الفناء. فحتى في اليوم الأخير، ومع الأنفاس الأخيرة، من تلك الجولة الملكوتية، حين بقي الإمام وحيداً، مجرداً ومتجرداً من الأهل والأنصار، تجلّت شجاعة الانقطاع إلى الله بأبهى صورها. فالتراث التاريخي (كما عند الطبري، وغيره الكثير، في مرويات حميد بن مسلم الأزدي) يستفيض في وصف تلك اللحظة وتلك الحال التي تتجاوز التفسير السيكولوجي العادي: «فوالله ما رأيتُ مكثوراً قطّ، قد قُتِلَ ولده وأهل بيته وأصحابه، أربط جاشاً ولا أمضى جنَاناً منه». ولم تكن رباطة الجأش في ذروة الانكسار المادي إلا انعكاساً لسكينة العارف الذي استغرق في مشاهدة المحبوب، فلم يعد يُبصرُ في نِصال السيوف إلا تجليات القرب الإلهي، محققاً بذلك مرتبة الإنسان الكامل الذي تنصهر في كينونته كلُّ ثنائيات الوجود.

من السيد إلى الشيخ: العشق كقوة ثورية

... ووعي العشق في مدرسة الإمامين علي بن أبي طالب والحسين بن علي، لا يستقيم أبداً بوصفة انفعالاً سيكولوجياً عابراً، بل هو نموذج معرفي تام وكامل (برادايم معرفي)، يُمَكِّنُ السالك من اختراق حجب الكثرة المادية لبلوغ وحدة الشهود (التصوف، يقول أبو نعيم في «حلية الأولياء»، «البروز من الحجاب إلى رفع الحجاب»). فالتصوف العلوي يتجاوز الرؤية الاستدلالية المنطقية الجافة نحو المعرفة القلبية، أو المعرفة بالقلب العاشق، كمعرفة كشفية ترى الحقيقة في أعيانها لا في ظلالها («إسلام الغيوب إلى مقلب القلوب»). وهكذا، ولهذا، بالضبط، واستتباعاً لهذه الأسس والتزاماً تاماً بها، اكتسبت سيرة وسردية شهيد الأمّة الأسمى، السيد حسن نصر الله، استثنائيتها وصدقيتها التاريخية من كونها تجاوزت المحددات والمعايير التقليدية (الجغرافيا، السياسة، الزمان، والمكان) لتستقر كلياً في حيّز العشق الوجودي، ما يؤسس حتماً للانتصار. فالعاشق الزاهد لا يمكن أن يهزم سياسياً أو عسكرياً أبداً، فهو لا يطلب أصلاً مكسباً شخصياً أو حاجة دنيوية («وهي عندي كعفطة عنز»)، بل، يمتلك، دون غيره، القدرة الاستثنائية على العيش وقيادة وممارسة المقاومة بأعلى معايير الحق والعدالة والخير، وأيضاً التضحية والتفاني، ودون أي مساومة («أشكر الله على عظيم نعمه أن تطلع ونظر نظرة كريمة إلى عائلتي، فاختار منها شهيداً»).

ففي «نحن شيعة علي بن أبي طالب في العالم لن نتخلى عن فلسطين»، مثلاً لا حصراً، وفي «لا يملك أحد حق التخلي عن حبة رمل واحدة من أرض فلسطين» نقرأ ونسمع أكثر بكثير من مجرد بيان أو موقف سياسي وفق المعايير التقليدية. ففي هذه العبارات (وغيرها الكثير) مقدار هائل من العشق وطلب الحق والعدل وسعياً للخير، لا يمكن تفسيرها حتى بالحب المألوف الذي عليه الناس فقط. فالعشق والتفاني في الحق هنا يتجاوز المحبة، ويتجاوز حتى الإفراط في الحب («الموافقة للحق، والمفارقة للخلق»)، إلى الفناء والذوبان الكامل في المحبوب (عشق السيد وافتدائه لبيئة المقاومة وأهلها، ونظر عشقه وافتداءه لفلسطين وشعبها، بوصفهما التجلي الأوضح للحق والخير والعدل والجمال في زمننا). وهذا النمط من العشق الذي مثله السيد الشهيد يتجاوز الإفراط في المحبة ليصل إلى مقام الاتحاد والتوحد (أنا من أهوى ومن أهوى أنا) حيث تختفي الحدود والفواصل كلياً بين الذات المقاومة والموضوع الأرض/المقدس). والعلاقة هذه، بين السياسة والعشق، في هذه الحال، هي، العلاقة بين العقل والعشق. فـ«العقل» كما اختصره محمد إقبال، «مصباح الطريق، والعشق هو المحرك». فـ«العقل يضيء الطريق والعشق هو الذي يقطع الرحلة». أمّا لماذا؟ فـ«العشق لا يُعَلَّلُ»، بل هو «علة كل شيء»، كما جاء في شرح مولانا الرومي لنص القاضي أبو بكر الشبلي تلميذ الجنيد البغدادي. فالعشق هو المبدأ الأول والمحرك لكل تضحية ولكل فعل فداء. والعشق حال من الصيرورة نحو الكمال المطلق التي تتجسد في المناجاة والمشاهدة المتبادلة بين العبد والحق. فهو، أي العشق، ليس مجرد شعور بالسعادة، بل حال من الكينونة أو السمو، وسعي كوني دائم من أجل الكمال (أناجيه فيُناجيني، وأشاهده فيُشاهدني).

هكذا، مع سيد شهداء الأمّة، السيد نصر الله، أصبح العشق في زمننا قوة ثورية هائلة، لا تمنع وتحول دون انهيار البنية الأخلاقية للأمّة فقط، بل وحتى تمسك بسقف العالم وتحميه من الانهيار والسقوط، فيما يصنع المقاومون العشاق من أجسادهم متاريس، ومن تضحياتهم جسراً لئلا يغرق كل هذا العالم في عتمة الغاب والتوحش، تماماً كلحظة كربلاء الفارقة واستمراراً لها في حماية الرسالة واستمرار الأمّة – فلولا إسناد السيد الشهيد وعترته المقاومة لأهل فلسطين في أوج مذبحة غزة، ومعهم أهل اليمن الأشراف فقط، برغم الأثمان الهائلة التي ترتبت على هذا الموقف، لأصبح هذا العالم هيكلاً خاوياً من المعنى، ومسرحاً لعبثية التوحش والهمجية، يفتقر إلى أي جوهر إنساني، ولسقطت البشرية كلها في عدمية أخلاقية ولأصبح عالماً من الوحوش والجبناء، حيث لا شرف يُرتجى ولا ضمير يستقيم. كان هذا الاستثناء والتميز لأمّة المقاومة ضرورياً، بل وحتى ضرورة وجودية، ليس نصرة لفلسطين فقط، وإن لم ينتصر فلسطين وأهلها أحد مثل السيد وأهله، بل أيضاً تموضعاً وفرزاً يقارب أن يكون ملكوتياً، تمييزاً لبيئة المقاومة، واستثنائيتها، وتفوقها الأخلاقي عن كل أهل الأرض. هكذا كان إسناد أمّة حزب الله لفلسطين حماية لسقف العالم، أيضاً، وصمام أمان بنيته الأخلاقية من السقوط في توحش الغاب والهمجية الكاملة، وتأكيداً قاطعاً أن هذا العالم، برغم كل شيء، وبرغم كثافة الظلمة قبلها، وحينها، وبعدها، لم يخلُ من بقية من نور وقوى ظلت تحمل المشكاة المحمدية العلوية الحسينية. فاستمرار هذا العالم وتماسكه الوجودي، كان، ويبقى، وسيظل ممكناً، فقط، وفقط، بفضل عشق وشغف قلة قليلة جداً ارتضت أن تدفع الثمن الهائل بوحي نموذج العشق المحمدي/العلوي/الحسيني. والسيد الشهيد، سليل آل البيت الأطهار، كان، بلا أي شك، العاشق الأجمل والأطهر والأنبل في زمننا. يكفي أن تستمع لمقاطع من عرضه لكتاب «جهاد النفس» للحر العاملي، ليفيض قلبك بصوته، أو لشرحه لبعض مقولات إمام المتصوفين علي في حب الدنيا: «حب الدنيا فالاستشهاد عند هؤلاء القديسين، لمن فاته إدراك ووعي بعض كنههم وجوهر ماهيتهم، بل وسرّهم، يمثل ذروة الانتصار الروحي: «عندما نستشهد نُنتصر».

واستخدام المصطلح، واللجوء لهذه الاستعارة (الرسن وأيضاً اللجام) استناداً لمرجعية فكر الإمام علي، كان مرتبطاً دائماً بالحق، وأيضاً بالقدرة على كبح جماح القوى الضالة التي تخرج عن الفطرة الإنسانية وتخرج عن السيطرة (ألا وإن الخطايا خيل شمس... خُلعت لُجُمها). هكذا نزع الشيخ صفة العقل والشرعية والإنسانية والفطرة عن العدو تماماً، «الوحش الهائج»، ووضع الرسن في يد المقاومة، اليد القوية، المسؤولة عن إعادة التوازن الإلهي والأخلاقي إلى العالم. واستعارة «الرسن» و«الحظيرة» تستبطن، أيضاً، حمولة تحقيرية للعدو، لا تنزع عنه العقل والشرعية فقط، بل وتلحقه بمرتبة البهيمة المربوطة التي ضلت وفقدت البوصلة. فالرسن يوضع للدواب، لكبح جماحها وقيادتها إلى الحظيرة («فَمَا خُلِقْتُ لِيَشْغَلَنِي أَكْلُ الطَّيِّبَاتِ، كَالْبَهِيمَةِ الْمَرْبُوطَةِ هَمُّهَا عَلَفُهَا»). والعدو هنا يمثل كل الخطيئة الوجودية التي فقدت عتاد العقل والحق والأخلاق، فبات لزاماً على المقاومة، قوة الخير والسلطة الأخلاقية الكونية، أن تبادر وتتدخل لإعادة ضبط هذا الانفلات بما يتوافق مع نواميس الكون، والأخلاق، والحق، والخير، والجمال. وأبعد من هذا، فإن الوصف يحمل، أيضاً، دلالة الغلبة والولاية، فالشيخ كرس في عبارته تراتيبة قيمية وأخلاقية بين الراسن والمرْسَون. فمن يملك الرسن (الراسِن) يمثل العقل الكلي والبد الأخلاقية القادرة على الترويض، ومن يوضع في أنفه الرسن (المرْسون) يمثل التوحش الذي يتوجب إعادته إلى الحظيرة، ليسد سواء.

لم تكتفِ عبارة واحدة للشيخ برسم إحداثيات وملامح النصر الشامل، ومنه العسكري في الميدان، بل أسست أيضاً لشرعية التوحش الأخلاقي للعدو المتوحش الهائج، محولةً فعل المقاومة من رد فعل دفاعي إلى فعل تحويلي وتغييري أعمق وأشمل، يسمك بهذا التوحش الهائج الضال المنفلت من رسنه وبعيده إلى حدوده الطبيعية (الحظيرة)، ويكرس في ذات الوقت التفوق القيمي والأخلاقي والروحي والميداني لنهج المقاومة.

خاتمة: أمّة أشرف الناس

إنّ ثمن الحرّية، في ميزان التاريخ وحتى بمقاييس الفلسفة الأخلاقية، باهظ جداً إلى حد يتجاوز أحياناً حدود الاحتمال البشري العادي. فالحرّية ليست أبداً رخيصة الثمن، وليست أبداً من فئة المنح والعطايا، بل كانت دائما ثمرة كفاح وجهاد طويل وصعب ومؤلم ومكلف، وأيضاً نتاج وعي استثنائي بالذات والعالم، والحق، والعدل، والخير. الأهم أن كل ذلك كان سيبقى بلا معنى في غياب الشجاعة (شجاعة العشاق) الاستثنائية في مواجهة حقائق العالم وبُناه الراسخة والاستبداد والتوحش الباطن والظاهر فيها على حد سواء. لهذا السبب، ربما، تمتنع غالبية البشر عن مجرد السعي، حتى لا نقول السعي الجادّ إلى نيلها ودفع ثمنها، بل ويتردّدون أحياناً كثيرة، إن لم نقل يعجزون، عن مجرد التفكير باقتحام ميادينها. فالحرّية، في جوهرها، ليست مجرّد شعار سياسي أو حتى حالاً قانونيّة، بل هي أساساً التزام وجودي وروحي خالص يفرض على صاحبه، ويستتبع منه، أثماناً نفسيّة واجتماعيّة ومادّية جسيمة لا يقدر عليها إلا العشاق الحقيقيون، من أمثال سليلي هذا التراث المحمدي العلوي الحسيني.

لهذا، فما يحول دائما دون انزلاق هذا العالم إلى هاوية الفوضى والعدم والخراب والتوحش، بل، وما يحفظ مجرد تماسكه النسبي ويتيح له، على تعثّره، أن يواصل وجوده ومسيرته، ليس إلا ذاك الشغف العارم، وذلك العشق الوجوديّ، الذي يسكن قلوب قلّة قليلة ونادرة جداً من البشر. فهؤلاء هم الوحيدون الذين تجرّؤوا، وبكل الرضى والتسليم، على تحويل ذواتهم إلى خطوط تماس حيّة فعلياً، وحتى جعلوا من أجسادهم وأنفسهم متاريس لصدّ العنف الوحشي، ومن تضحياتهم جسوراً لتعبر عليها الإنسانيّة إلى النور، حتى لا تغرق في ظلمات التوحّش والهمجية والردة.

وكما في أيّ حقبة في التاريخ الإنساني، لم تكن هذه الفئة التي رأيناها وتراها تقاوم في لبنان وغزة، إلّا أقلّيّة بالمعنى العددي، لكنها أكثريّة بالمعنى القيميّ والمعياريّ والأخلاقي الذي يحمي العالم ويصونه من الخراب. لهذا، لم يكن هذا العشق، بوصفه فعلاً جذرياً يتجاوز العاطفة الساذجة إلى مقام الالتزام الأخلاقيّ الكامل، يوماً خياراً رائجاً بين الناس. فالعشق، في أرقى تجلّياته، ليس انفعالاً عابراً، بل هو قرار صلب، وانحياز واعٍ إلى جانب الحقّ والخير والعدل، ولو كلّف ذلك أقصى الأثمان.

وما نشهده اليوم ويشهده العالم في لبنان يتجلى في أرقى صوره في هذا الأفق الوجودي ذاته، حيث يتحوّل الألم إلى معنى، والتضحية إلى لغةٍ أخلاقيّة عالية سامية، يدفع الأبطال العشاق، وأهلهم معهم من أمامهم ومن خلفهم، ثمنها الهائل جداً بكرامةٍ وكبرياء. وتلك القلة لا تقاوم، بل وتعرف قطعاً أنها لا تقاوم، من أجلها فقط. بل تحمل على عاتقها ولوحدها عبئاً كبيراً وثقيلاً جداً لمنع سقف هذا العالم من الانهيار. فهي فعلاً لا تمسك بحدود ضيعة، أو قرية، أو مدينة، أو حافة وطن، كما تتناقل الأخبار، بل بسقف سماء القيم والأخلاق الإنسانيّة حتى لا تتداعى ويسود التوحش، وتؤكّد، بالفعل لا بالقول، أنّ الحريّة، وأن الحق والخير والعدل الذي لا يمثله أحد مثلهم، وإن غلت أثمانها، تبقى أسمى وأنبل ما يمكن للإنسان أن يعيش ويموت من أجله.

لهذا، وغيره الكثير، الكثير، يا أمة حزب الله، يا أهل سيد المقاومة وسيد شهداء الأمّة، يا أهل العاشق الأجمل والأكمل، والأطهر، والأنقى، في زماننا. يا أهل أنبل الناس والمسلمين جميعاً، سليل الأنفة المحمدية، قاهر «إسرائيل» وناصر العرب والفلسطينيين بمدد من فيض الكرامة الإلهية، الأمين الشهيد السيد حسن نصر الله. يا أهل شيخ المقاومة وقائدها الفذ، الشيخ الجليل العاشق، شيخ المجاهدين النبيل، سليل من «قَدْ أَفْنَوْا النَّفْسَ مِنْ لِجَامِهَا، فَقَادُوهَا إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ»، والذي سيمسك حتماً بهذا الوحش من رسنه وبعيده إلى الحظيرة بروحية العرفان، شيخ المقاومين وقائد المسيرة بنور الغر المحجلين في زمننا، الشيخ نعيم قاسم: لقد استحال صبركم وصمودكم وتسليمكم ورضاكم مبعثاً للمباهاة الإلهية في الملأ الأعلى. فالحقّ سبحانه يباهي بكم ملائكة قدسه والعالمين أجمعين، «يا أشرف الناس، وأظهر الناس، وأكرم الناس».

* كاتب عربي

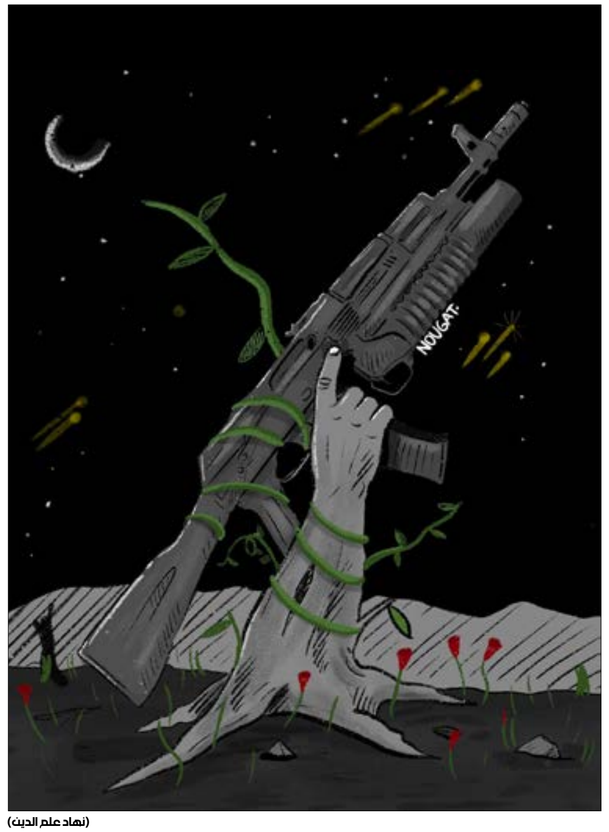

(نهاد علم الدين)

> الحرّية، في جوهرها، ليست مجرّد شعار سياسي أو حتى حالاً قانونيّة، بل هي أساساً التزام وجودي وروحي خالص يفرض على صاحبه، ويستتبع منه، أثماناً نفسيّة واجتماعيّة ومادّية جسيمة لا يقدر عليها إلا العشاق الحقيقيون

الحرب الكونية ضد المقاومة

9

استراتيجية مقاومةٍ ثلاثية المستويات
كيف تواجه إيران الحصار البحري؟

حسن حيدر

بعدما استنفدت الأهداف التي حدّدتها لحملتها العسكرية على إيران، انتقلت الولايات المتحدة إلى الحصار البحري، الذي وجدت فيه أداة مناسبة للضغط على الجمهورية الإسلامية، نظراً إلى الارتباط البنيوي للاقتصاد الإيراني بالممرّات البحرية الجنوبية - حيث تمرّ النسبة الأكبر من التجارة الخارجية وصادرات الطاقة عبر نطاق الخليج ومضيق هرمز -. وفي مقابل محاولة تطويق الحركة البحرية الإيرانية، بدأت إيران العمل على تفكيك هذا الطوق، عبر إعادة هيكلة منظومتها اللوجستية والإقليمية بشكل شبكي متعدّد المستويات، تفادياً لإرساء معادلة الحصار في المضيق. ففي البعدين الأمني والعسكري، لا تزال إيران تتعامل مع «هرمز» باعتباره نقطة اختناق استراتيجية ذات وظيفة مزدوجة؛ فهو، من جهة، شريان حيوي للتجارة العالمية، ومن جهة أخرى، مجال ردع متقدّم يمكن استخدامه لإدارة التوازنات الإقليمية - من دون العودة إلى مستوى الحرب المفتوحة -. ومن هنا، تعتمد طهران استراتيجية «الإغلاق الذكي»، أي التحكّم بدرجة المرور ونمطه، بما يرفع كلفة أيّ وجود عسكري معادٍ بالقرب من السواحل الإيرانية، ويبقي القطع الحربية الأميركية على بُعد مئات الكيلومترات من المياه الإقليمية لإيران، ويسمح بالتالي بتقليل فرص الاحتكاك المباشر. كما يمتدّ هذا التفكير إلى ما بعد المضيق، حيث يتمّ توزيع النشاط البحري الإيراني على مساحات أوسع في خليج عمان وبحر العرب، على نحو يحدّ من قابلية الاحتواء الجغرافي.

إيران تفخخ بدانك لتفادي الحصار البحري الاميركي (من الويب)

وعلى المستوى السياسي، تعكس التحرّكات الإيرانية محاولة واضحة لمنع تحوّل الضغط البحري إلى عزلة إقليمية شاملة. فالتفاعل مع سلطنة عمان وباكستان ودول الجوار يستهدف، في جوهره، بناء شبكة مصالح متداخلة تخفّض من احتمالات الاصطفاف الإقليمي ضدّ إيران - خصوصاً أن فعالية أيّ حصار بحري تعتمد في جانب منها على درجة تعاون أو حياد الدول المحيطة بالممرّات البحرية -. أمّا على الصعيد اللوجستي، وهو الأهمّ باعتباره الخطة التنفيذية لإفشال أهداف الحصار، فتجري عملية إعادة توزيع للجغرافيا الاقتصادية الإيرانية من نموذج مركزي، إلى نموذج شبكي متعدّد المراحل؛ أي أنه بدلاً من الاعتماد شبه الحصري على الموانئ الجنوبية، يجري تعزيز دور الموانئ الشمالية على بحر قزوين (أنزلي، امير اباد، نوشهر)، باعتبارها نقاط دخول بديلة للسلع الأساسية بعيدة عن نطاق التوترات الخليجية. وفي المقابل، لا تزال الموانئ الجنوبية (بندر عباس، تشابهار، وجاسك) تحتفظ بدور استراتيجي، ولكن ضمن إعادة توزيع للوظائف بدلاً من التركيز الكامل.

يجري تحويل الجغرافيا الاقتصادية الإيرانية من نموذج «مركزي» إلى آخر «شبكي»

ويترافق هذا التحوّل اللوجستي مع توسّع كبير في استخدام الممرّات البرية وسكك الحديد؛ إذ تمّ إلى الآن تفعيل ستة مسارات تجارية رئيسة بين إيران وباكستان، أسهمت في نقل ما يقارب 3 آلاف حاوية كانت عالقة في ميناء كراتشي نحو الداخل الإيراني - عبر معبرَي ريمدان وميرجاوه جنوب شرقي إيران -. كما برز ميناء جوادر الباكستاني كعنصر إضافي في منظومة الترانزيت الإقليمي، بالاستفادة من موقعه في بحر العرب. وفي الاتجاه الغربي والشمالي، يجري تفعيل ممرّات عبر تركيا باستخدام موانئ من مثل مرسين، وربطها بالداخل الإيراني عبر شبكة السكك الحديدية، وهو ما يتيح الوصول غير المباشر إلى الأسواق الأوروبية وبالعكس. كذلك، يشكّل معبر سرخس نقطة اتصال مركزية مع تركمانستان وكازاخستان وروسيا ضمن ممرّات أوراسيا والبحر الأسود، إضافة إلى مسارات من العراق وإليه.

وإذ يحتلّ ملفّ الصادرات النفطية موقعاً مركزياً في معادلة الضغط البحري، فقد طوّرت إيران منظومة تشغيلية معقّدة نسبياً للالتفاف على القيود المرتبطة به، مستفيدةً من خبرات راكمتها لعشرات السنوات في هذا المجال، ومفعّلةً منظومة تقوم على تعدّد مستويات النقل وإعادة التوجيه. وتشمل هذه المنظومة عمليات نقل النفط من سفينة إلى أخرى في عرض البحر، خصوصاً في مناطق بعيدة عن الرقابة المباشرة في المحيط الهندي وبحر العرب، إلى جانب إيقاف أنظمة التتبّع الملاحي، واستخدام ناقلات قديمة ضمن شبكات ملكية غير شفافة، وتغيير بيانات الشحن وإعادة تسجيلها تحت أعلام متعدّدة. كما يعتمد جزء من هذه الاستراتيجية على تفتيت الشحنات النفطية إلى كميات أصغر تُنقل عبر مسارات مختلفة، في ما يقلّل من قابلية الرصد ويحدّ من أثر أيّ عملية اعتراض محتملة. ويبرز في هذا السياق، الدور الاستراتيجي لميناء جاسك، الذي يتيح تصدير النفط خارج نطاق مضيق هرمز، ويخفّف الاعتماد على نقطة الاختناق الرئيسة في المضيق، في وقت تُستخدم فيه موانئ وسيطة وأساليب نقل ساحلية ضمن نطاقات قريبة من المياه الإقليمية، بهدف تقليل المخاطر التشغيلية والرصد والتتبّع. وتتكامل هذه المنظومة مع آليات مالية تهدف إلى تخفيف الاعتماد على البنية المالية للدولار؛ إذ يتمّ استخدام العملات المحلية أو اليوان الصيني في جزء من التعاملات مع الصين، إضافة إلى ترتيبات المقايضة في بعض الحالات، وهو ما يسمح بتجاوز القيود المصرفية المرتبطة بالعقوبات؛ كما ويعزّز قدرة الشبكة التجارية على الاستمرار حتى في ظلّ تشديد الحصار، ويحدّ من حساسية التدفّقات التجارية تجاه النظام المالي العالمي.

كلّ ما تقدّم لا ينفي تأثير الحصار البحري الأميركي على إيران، إلا أنه يُظهر أن فاعليته ستكون محدودة في ظلّ تعدّد البدائل، وتداخل المصالح الإقليمية والدولية.

تعزيزات عسكرية مكثّفة إلى المنطقة
أميركا تبحث استئناف الحرب

تقف الهدنة الهشة بين إيران والولايات المتحدة عند محطة حاسمة، مع تصاعد التهديدات الإيرانية بالردّ على الحصار الأميركي لموانئ الجمهورية الإسلامية، ومواصلة الرئيس الأميركي، دونالد ترامب، رفع سقف الخطاب السياسي والعسكري. وكرّر ترامب، أمس، القول إن إيران «مستعدة من أجل التوصل إلى اتفاق»، مضيفاً أنه «لا يمكن أن نسمح لإيران بالحصول على سلاح نووي». وكرّر رفض توصيف ما يجري بأنه حرب، قائلاً: «لا أسمّي ما يجري ضدّ إيران حرباً، بل عملية عسكرية»، معتبراً أن هذه «العملية كان ينبغي شنّها منذ وقت طويل». وزعم أن «إيران ترغب بشدة في التوصل إلى اتفاق»، مشيراً إلى أنه «لا أحد يعلم فحوى المحادثات مع إيران إلا أنا شخصياً وعدد قليل».

وجاء ذلك في وقت أطلع فيه قائد «سنتكوم»، ترامب، على خيارات تجديد الهجمات على إيران، والتي تشمل ضربات جوية «عنيفة وخاطفة» لمنشآت الطاقة، وعمليات برية نوعية. وبحسب التقارير الأميركية، فإن ترامب يدرس الخيار العسكري بجدية، بوصفه مساراً موازياً للحصار الشامل. ويفسّر ذلك، ما نقلته شبكة «إيه بي سي» عن مسؤول أميركي من أن إدارة ترامب تجري محادثات مع المشرعين الأميركيين لطلب تفويض من «الكونغرس» بشأن الحرب على إيران. وفي الإطار نفسه، أفادت صحيفة «وول ستريت جورنال» بأن الولايات المتحدة تحاول تجنيد دول جديدة للائتلاف الدولي الذي سيعمل على تأمين السفن وحركة الملاحة في مضيق هرمز.

أما في الكيان الإسرائيلي، فاعتبرت «القناة 14» العبرية أنه «لا يحتاج الأمر إلى عبقرية استخباراتية لفهم أن شيئاً ما يجري في الأيام الأخيرة»، مضيفة أن «مجرّد رفع الرأس إلى السماء يكفي لرؤية عشرات عمليات الهبوط والإقلاع للطائرات العسكرية الأميركية في إسرائيل». ولفتت القناة إلى أن «هذا الحراك الاستثنائي لا يُظهر في السماء فقط، بل أيضاً في غرف الاجتماعات، إذ سُجّلت خلال الساعات الثماني والأربعين الأخيرة سلسلة مشاورات مكثفة للغاية في قمة المستويَين السياسي والأمني في إسرائيل».

ترامب: لا أسمي ما يجري حرباً، بل عملية عسكرية

كذلك، أفادت «القناة 15» بأن الولايات المتحدة تدرس الآن نقل منظومة صواريخ متطورة إلى المنطقة، استعداداً لاحتمال تجدّد القتال. وأوضحت أن «الحديث يدور عن منظومة هي، في الواقع، الأكثر تطوراً، وهي صواريخ فرط صوتية يطلق عليها اسم "دارك إيغل"»، مشيرة إلى أن الأميركيين يدرسون نقلها إلى منطقة «سنتكوم». وبحسب القناة، فإن هذا الطلب تقدّمت به «سنتكوم» في الأيام الأخيرة إلى «البنتاغون»، وإذا تمّت الموافقة عليه، فمن المتوقع أن تكون هذه أول عملية تشغيل ميدانية للمنظومة المذكورة. وتصل صواريخ «دارك إيغل» إلى مدى يقارب 3500 كيلومتر، بما يمكّنها من بلوغ أيّ نقطة تقريباً في إيران. أمّا الأهداف المرجحة، فتشمل بنى تحتية للإطلاق، ومنشآت مختلفة لا تستدعي بالضرورة إرسال طائرات لضربها. وإلى جانب ما تقدّم، تحدثت القناة عن شحنات كبيرة من الأسلحة وصلت إلى إسرائيل خلال الساعات الأخيرة، بما لا يقلّ عن 6000 طن من الذخائر العسكرية، في مؤشر إلى مستوى واسع من الاستعدادات.

وفي هذا الإطار، قال وزير الجيش الإسرائيلي، يسرائيل كاتس، إن «الجسر الجوي والبحري الذي يتوسع الآن يعزّز كفاءة الجيش الإسرائيلي وتفوقه العملياتي»، مضيفاً أن «مهمة وزارته هي ضمان حصول الجيش على كلّ الوسائل المطلوبة، لكي يتمكن من العودة والتحرك بكامل القوة ضدّ الأعداء في أيّ وقت ومكان».

في المقابل، أكد المرشد الإيراني الأعلى، آية الله مجتبى الخامنئي، أمس، أن «الخليج الفارسي يشهد بزوغ فصل جديد في تاريخه، ومستقبله سيكون خالياً من الوجود الأميركي». وأضاف: «اليوم بعد شهرين من أكبر تحرّك عسكري واعتداء من قبل القوى المتغطرسة في المنطقة، وبعد هزيمة أميركا المخزية، تتشكل مرحلة جديدة للخليج الفارسي ومضيق هرمز». وتابع الخامنئي أنه «أصبح واضحاً ليس فقط لدى الرأي العام العالمي وشعوب المنطقة، بل حتى لدى الحكام، أن الوجود الأميركي في الخليج الفارسي هو العامل الأساسي لعدم الاستقرار، وأن قواعده لا تملك القدرة حتى على تأمين نفسها، فكيف لها أن تؤمّن الآخرين». وشدّد على أن لإيران وجيرانها في الخليج الفارسي وبحر عمان «مصيراً واحداً»، وأن «الذين يأتون من آلاف الكيلومترات ويثيرون الفوضى والشر لا مكان لهم فيه، إلا في أعماق مياهه».

وأشار إلى أن «الشعب الإيراني بأكمله، داخل البلاد وخارجها، بات يعتبر كلّ قدراته الهوياتية والعلمية والصناعية والتكنولوجية، من النانو والبيولوجيا إلى النووي والصواريخ، ثروة وطنية يجب حمايتها»، مؤكداً أن «إدارة إيران لمضيق هرمز، ستجعل منطقة الخليج الفارسي أكثر أمناً، وستمنع استغلال الأعداء لهذا الممرّ المائي».

وعلى مستوى المواقف الإيرانية أيضاً، أفادت وكالة «مهر» بأن الرئيس مسعود بزشكيان أبلغ رئيسة وزراء اليابان «استعداد طهران لاستئناف المسار الدبلوماسي، شرط أن تغيّر الولايات المتحدة سلوكها». وأكد بزشكيان، خلال الاتصال، أن «انعدام الأمن في منطقة الخليج يعود إلى سياسات الولايات المتحدة وإسرائيل»، مشدداً على ضرورة وقف ما وصفه بـ«القرصنة الأميركية» ضدّ السفن الإيرانية. وبدوره، اعتبر رئيس «مجلس الشورى الإسلامي»، محمد باقر قاليباف، أن «إدارة مضيق هرمز ستمنح إيران وجيرانها نعمة ثمينة تتمثل في مستقبل خالٍ من الوجود والتدخل الأميركيَّين».

وعلى المستوى العسكري، توجّه قائد القوات الجوفضائية في «الحرس الثوري»، اللواء مجيد موسوي، إلى «سنتكوم» قائلاً: «رأينا عاقبة قواعدكم في المنطقة، وسنرى عاقبة سفنكم الحربية أيضاً». وكتب موسوي، في منشور على موقع التواصل الاجتماعي، ردّاً على «سنتكوم»: «سنردّ، بفضل الله، بضربات مؤلمة ومتدّدة وواسعة على عمليات العدو، حتى إن كانت خاطفة وقصيرة».

(الأخبار)

الولايات المتحدة تدرس الآن نقل منظومة صواريخ متطورة إلى المنطقة (من الويب)

ميناء إيلات يطالب بشموله في أيّ تسوية

صنعاء ـ الأخبار

بعد أكثر من عامَين من توقّف الحركة الملاحية في ميناء إيلات الإسرائيلي، طالبت إدارة الميناء، سلطات الاحتلال، بتضمين المرفق في أيّ تسوية إقليمية بين الولايات المتحدة وإيران. ويأتي ذلك في ظلّ فشل المسارات البديلة التي اعتمدتها إدارة «إيلات» لاستعادة النشاط الملاحي. وفي هذا الإطار، قالت صحيفة «معاريف» إن إدارة الميناء توجّهت بشكل عاجل إلى «مجلس الأمن القومي» الإسرائيلي، مطالبةً بأن يشمل أيّ ترتيب إقليمي رفع الحصار اليمني في البحر الأحمر، وفتح الممرّ البحري إلى «إيلات». وعلى الرغم من قيام إدارة الميناء، بالالتفاف على الحصار اليمني واستيراد نحو 6000 مركبة صينية عبر ميناء العقبة الأردني خلال آذار الفائت، ومن ثمّ إعادة نقل تلك الواردات عبر سفن إلى إسرائيل، إلّا أن صحيفة «كالكاليست» العبرية المختصّة بالشأن الاقتصادي أكّدت أن هذه البدائل غير مُجدية وغير مستدامة. وأشارت إلى أن قوات صنعاء خفّضت هجماتها منذ أواخر العام الماضي في البحر الأحمر، ولكنّ المشكلة تكمن في أن شركات الشحن العالمية تتردّد في العودة إلى «إيلات»، بسبب المخاطر الأمنية. وأوضحت أن اعتماد ميناء العقبة كمسار لوجستي بديل في الظرف الحالي، يأتي في إطار مساعي إدارة الميناء لإنقاذه من الإفلاس، واستعادة نشاطه ولو بشكل جزئي، مضيفة أن هذا المسار، على الرغم من تعقيده وارتفاع كلفة الاستيراد عبره، سمح بتجاوز القيود الأمنية. وبحسب رئيس «إيلات»، آفي خورمارو، فإن «إدارة الميناء والمساهمين يفعلون كلّ ما بوسعهم لإعادة النشاط، لكن الحلّ للموقف يكمن على المستويَين الحكومي والدولي».

10 آلاف مستوطن جديد نحو سوريا
إسرائيل تسرّع الاستيطان في الجولان

فراس الشوفي

لطالما خطّطت إسرائيل لرفع وتيرة الاستيطان اليهودي وتوسيع البنية التحتية للمشروع الاستيطاني على هضبة الجولان المحتلّة، منذ ما قبل إقرار «الكنيست» «قانون مرتفعات الجولان» في 14 كانون الأول 1981، والقاضي بـ«ضمّ» الهضبة إلى إسرائيل. وتمثّلت آخر هذه الخطط، في إقرار الحكومة الإسرائيلية مبالغ تتجاوز 334 مليون دولار أميركي، من ضمن خطّة خماسية تهدف إلى رفع عدد المستوطنين في الهضبة المحتلّة إلى خمسين ألفاً بحلول عام 2030.

غير أن التوسعة الديموغرافية عبر رفع عديد المستوطنين وعدد المستوطنات في الهضبة المحتلة، اصطدمت دائماً بخشية الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة من احتمال الاضطرار إلى التخلّي عن الهضبة في حال توقيع «اتفاق سلام» مع سوريا، أو في حال تجدّد الحرب على الجبهة الشمالية الشرقية مع السوريين. وعلى مدى ستين عاماً مستمرّة من الاحتلال، بقي الاستيطان في الجولان «خجولاً»، بالمقارنة مع المساحة المحتلة والميزات المناخية والبيئية التي تميّز الهضبة؛ إذ شكّل القلق الأمني هاجساً أساسياً أمام مجموعات المستوطنين للتوجه والاستقرار في منطقة غير محسومة المصير، وتنتشر بقربها وحدات قتالية سورية.

على أن السنوات الأخيرة التي تراجعت خلالها قدرات دمشق في الجنوب السوري، وصولاً إلى سقوط النظام السابق في نهاية عام 2024، شهدت للمرة الأولى تجاوزَ عدد المستوطنين في الهضبة المحتلّة، عدد السّكان السوريين الأصليين المتبقّين في خمس قرىً سورية (الغجر، مسعدة، مجدل شمس، بقعاثا وعين قنيا)؛ إذ بلغ عدد المستوطنين أكثر من 26 ألفاً، بحسب ما أعلنت لجنة الأمم المتحدة المَعنيّة بالتحقيق في الممارسات الإسرائيلية، في نهاية عام 2023. ويسكن هؤلاء المستوطنون الذين ينحدر معظمهم من أصول أوروبية وأميركية وروسية، في حوالي 30 مستوطنة ومزرعة تقوم بغالبيتها على أنقاض قرىً ومزارع سورية أخفى الاحتلال معالمها. وكان عمل العدو على هدم وتدمير ما يزيد عن 384 قرية ومزرعة منذ احتلال الجولان في حزيران 1967، وتهجير ما يزيد على نصف مليون سوري من محافظة القنيطرة نحو درعا ودمشق وريفها.

ويستفيد الاحتلال حالياً من عدّة عوامل لزيادة الزخم الاستيطاني في الجولان والضفة الغربية، فيما باتت مجموعات من حركات الاستيطان تجتاز الحدود نحو جنوب سوريا ولبنان برعاية وحماية من جهات داخل منظومة الاحتلال، رغم ادعاء الجيش قمعه هذه التحركات، بذريعة تشكيلها خطراً على حياة تلك الجماعات وعلى الصورة السياسية للكيان. ولعلّ أحد أبرز العوامل التي شجّعت الاحتلال على المضيّ قدماً في توسيع المشاريع الاستيطانية، هو انتهاء الخطر الذي كان يشكّله الجيش السوري السابق على الجولان المحتلّ، وشعور المؤسسة الأمنية بأمان عالٍ على الجبهة الشمالية الشرقية لرفع عديد المستوطنين، ولا سيّما بعد نجاح إسرائيل في تدمير ونزع السلاح الثقيل من أيدي الجيش السوري الجديد في المحافظات الجنوبية، وانتزاع تنازلات سيادية من الحكومة الانتقالية بقيادة أحمد الشرع، وذلك في أكثر من جولة تفاوض جمعت الطرفَين برعاية الموفد الأميركي إلى سوريا والسفير في تركيا توماس برّاك.

أمّا العامل الأساسي الآخر الذي يشجّع الاحتلال على استغلال الوقت والظروف، فهو الغطاء الذي يشكّله الرئيس الأميركي، دونالد ترامب، للاستيطان في الهضبة وفي الضفة الغربية. وسبق أن اعترفت إدارة ترامب، في نهاية ولاية الرئيس الجمهوري الأولى، بـ«السيادة الإسرائيلية» على الجولان المحتلّ، تنفيذاً لمطالب اللوبي اليهودي في الولايات المتحدة، والذي قدّم دعماً مالياً لترامب في حملته الانتخابية الأولى، مقابل وعد محدّد بالاعتراف بـ«السيادة».

ويضع المشروع الجديد، القائم على الدفع بخمسين ألف مستوطن جديد إلى هضبة الجولان المحتل، تحدياً جديداً أمام سكان الجنوبَين السوري واللبناني والشمال الأردني؛ إذ يعني زيادة ما لا يقلّ عن عشرة آلاف مستوطن مسلح جديد، بدعومين بقطعات عسكرية نظامية من الجيش الإسرائيلي الذي سيعزز حكماً من وجوده العسكري لضمان الحماية الكاملة للمستوطنات الجديدة، وهو ما سيرفع الخطر على الأجزاء الشمالية والغربية والشرقية للدول القريبة من الجولان. كما سيضع هذا المخطط ضغطاً إضافياً على الموارد في الهضبة، ويشجّع على محاولات السيطرة على مساحات أكبر من الجنوب السوري بذريعة الحماية وخلق منطقة آمنة شمالاً وشرقاً وغرباً تمتدّ حتى لبنان، يكون عمادها جبل الشيخ ومواردِه المائية.

وتترافق «الخطة الخماسية» مع مشاريع أخرى لاستجلاب مليون مستوطن جديد إلى إسرائيل - خصوصاً من أوكرانيا وروسيا -، وذلك لملء الأرض التي يطمح الاحتلال إلى السيطرة عليها في الضفة وسوريا ولبنان. كما تترافق مع حملات ودعوات لاستقطاب جماعات غير يهودية من الهند الصينية والهند وأفريقيا - تحت ذرائع مختلفة -، سعياً إلى تقليص الهامش الديموغرافي مع الفلسطينيين، والذي بات أولويةً بالنسبة إلى الاحتلال منذ 7 أكتوبر 2023.

ولا تساعد الظروف الحالية في سوريا، على مواجهة هذا المشروع سياسياً أو عسكرياً، خصوصاً أن الصدع في الجبهة السورية أصاب مقتلاً بعد هجمات السويداء، والتدخل العسكري الإسرائيلي، وما أنتجته أحداث العامين الأخيرين من تأثيرات سلبية على المناخ الوطني والقومي في سوريا. وفي الوقت الذي تمثّل فيه الإدارة الأميركية الحالية الراعي الأول للنظام السوري الجديد، فهي تمرّر عبر دبلوماسية الرعاية هذه، مشاريع الاستيطان وتوسعة أرض إسرائيل، التي يراها ترامب «صغيرة». ويأتي ذلك وسط عجز أممي وغربي وعربي عن فرض أيّ قيود على الاستيطان المتمدّد في كلّ مكان تطاوله قوات الاحتلال والمجموعات الاستيطانية.

الحرب الكونية ضد المقاومة

مخطّط لبناء 126 وحدة
عودة الاستيطان إلى جنين

رام الله ـ **أحمد العبد**

في خطوة تُعدّ الأولى من نوعها منذ نحو عقدَين، صادقت سلطات الاحتلال على مخطّط لبناء 126 وحدة سكنية استيطانية دائمة على مساحة تُقدّر بنحو 58 دونماً في مستوطنة «صانور» شمالي محافظة جنين، في مؤشر واضح على توسّع سياسة إعادة الاستيطان في المحافظة، التي تُدرجها إسرائيل ضمن المناطق المُخلاة في إطار «خطّة فك الارتباط» لعام 2005. وتكمن

> **دعا سموتريتش خلال مراسم افتتاح مستوطنة «صانور» إلى «إنهاء» فكرة الدولة الفلسطينية**

خطورة هذه المصادقة في كونها تمثّل انتقالاً من عملية استيطان محدود أو مؤقّت نحو تثبيت بنية عمرانية دائمة قابلة للتوسّع، وذلك على شكل تجمّعات استيطانية كبيرة مترابطة ببنية تحتية وشوارع ومنازل خاصة وميان متعدّدة الاستخدامات، إضافة إلى مرافق عامة وبنى تحتية، علماً أنه في قلب المستوطنة يقوم موقع أثري فلسطيني.

ودفع وزير المالية الإسرائيلي، بتسلئيل سموتريتش، في اتّجاه المضيّ قدماً في المشروع، واصفاً القرار الأخير بـ«اللحظة التاريخية»، ومعتبراً أنه يشكّل «تصحيحاً لتداعيات فكّ الارتباط». وكانت حكومة الاحتلال افتتحت، قبل أيام قليلة، مستوطنة «صانور» على أراضي المواطنين جنوبي جنين، في مراسم رسمية حضرها وزراء في حكومة اليمين، من بينهم سموتريتش ووزير الحرب يسرائيل كاتس، جنباً إلى جنب قادة المستوطنين، في ما هو أشبه بـ«تدشين» لعودة الاستيطان إلى الموقع، بمؤازرة مُشدّدة من قوات الاحتلال.

وتُعدّ مستوطنة «صانور» واحدة من المستوطنات التي أُخليت عام 2005 في إطار «فكّ الارتباط»، قبل أن تعيد حكومة الاحتلال إحياءها في سياق سياسة مُمنهَجة تستهدف إعادة بسط السيطرة الاستيطانية على شمال الضفة الغربية، وتحديداً محافظة جنين. وخلال الفعّالية، دعا سموتريتش، علناً، إلى إنهاء فكرة الدولة الفلسطينية، فيما لم تتأخّر عائلات المستوطنين في الانتقال إلى الموقع، بالتوازي مع انتشار عسكري كثيف، ومنع الفلسطينيين من الوصول إلى أراضيهم في محيط المستوطنة.

وتندرج هذه الخطوات ضمن سلسلة قرارات اتّخذتها حكومة بنيامين نتنياهو في الفترة الأخيرة، شملت تسريع المصادقة على مشاريع استيطانية، وشرعنة بؤر قائمة، وتعديل أطر قانونية كانت تمنع عودة المستوطنين إلى مناطق أُخليت سابقاً، ما أتاح، عملياً، إعادة الانتشار في مستوطنات من مثل «صانور» و«هومش» و«كاديم». كذلك، تضع حكومة الاحتلال خططاً استيطانية أخرى مرتبطة بمناطق مختلفة ذات طبيعة استراتيجية، وهو ما انعكس في مصادقتها على مئات الوحدات الاستيطانية في الأغوار، بما فيها مستوطنتا «نأفية غديد» و«مسواه».

وبالعودة إلى جنين، تشير المعطيات إلى أن المخطّطات الموضوعة لعودة الاستيطان في المحافظة، تشكّل جزءاً من مخطط أوسع، يهدف إلى إعادة رسم الخريطة الجغرافية لشمال الضفة، وذلك عبر إنشاء حزام استيطاني يمتدّ من الخط الأخضر إلى غور الأردن، مروراً بمرتفعات نابلس، ويستهدف فصل جنين عن محيطها الفلسطيني. واللافت، أن المحافظة التي كانت تُعدّ سابقاً من أقلّ المناطق تعرّضاً للتغوّل الاستيطاني، باتت خلال السنوات الأخيرة في صلب هذا المشروع، في ظلّ تصاعد غير مسبوق في الأنشطة الاستيطانية وتوسّع في نطاقها هناك.

ويعكس هذا التوجّه إصرار اليمين الإسرائيلي على السيطرة على أكبر مساحة ممكنة من الأرض، وإحداث تغييرات جوهرية في الجغرافيا الفلسطينية، مع ما يُرافق ذلك من آثار مباشرة على الواقع الديموغرافي. وفي السياق، ذكر تقرير صادر عن «معهد دراسات الأمن القومي» أن السياسة الإسرائيلية في الضفة تشهد تحوّلاً عميقاً، يقوم على الانتقال من إدارة الصراع إلى فرض سيادة فعلية على الأرض، وذلك من خلال أدوات قانونية وإدارية واستيطانية متكاملة.

وطبقاً للمصدر نفسه، فإن الحكومة الإسرائيلية تسعى إلى تثبيت واقع دائم في الضفة يحدّ من فرص التوصل إلى تسوية سياسية مستقبلية، وذلك عبر توسيع الاستيطان، وتعزيز السيطرة على الأراضي، وإضعاف البنية الإدارية الفلسطينية. وتثير هذه السياسات مخاوف من تصاعد التوتّر والتداعيات الميدانية، ولا سيما مع زيادة الاحتكاك بين الفلسطينيين والمستوطنين، وتقييد حركة السكان، وتكثيف الحواجز. أيضاً، تذهب تقديرات إسرائيلية إلى أن التوسّع الاستيطاني قد يفرض أعباء إضافية على الجيش نتيجة اتساع رقعة الانتشار وتكاثر نقاط الاحتكاك، ما قد يؤثّر، مستقبلاً، على الجاهزية العملياتية.

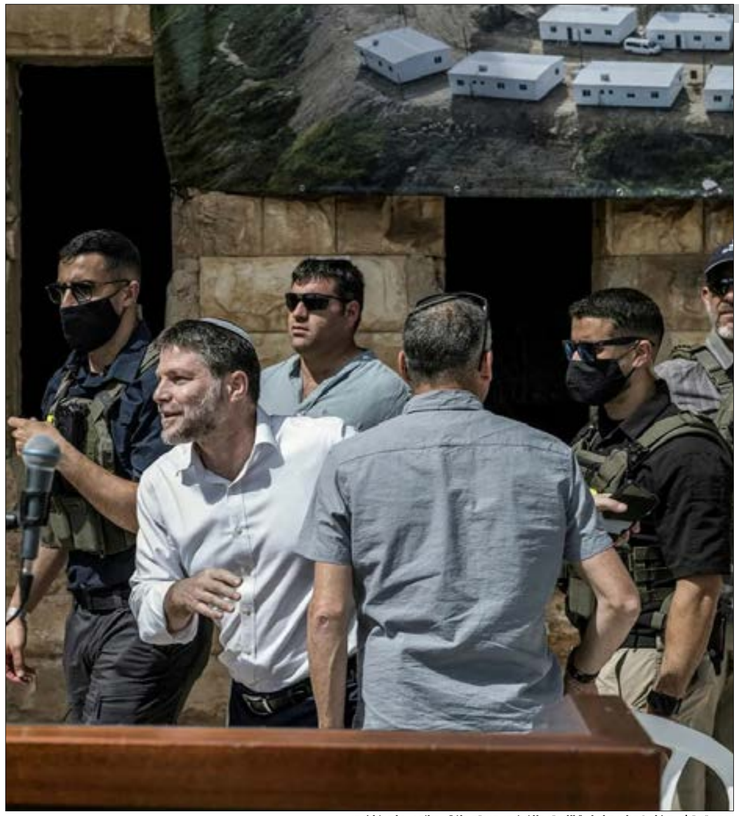

سموتريتش مغادراً مراسم إعادة الاستيطان في مستوطنة «صانور» على اراضي المواطنين جنوبي جنين (أ ف ب)

جرذان غزة تأكل البشر

أيهم السهلي

دخل قطاع غزة في النسيان، أو التناسي المؤقّت في أحسن الأحوال. المكان الذي مات حرباً لسنتين، يموت اليوم بما يسمّى «وقف إطلاق النار»، والتصنيف المرحلي للحلّ. فلا المرحلة الأولى من هذا الحلّ يُراد لها أن تنتهي، ولا الثانية تناقش، فيما أهالي القطاع يتأمّون بين عضّات القوارض ولسعات الأفاعي. في الخيام، يروي النازحون حكايات كابوسية: بعض القوارض، وهي بحجم القطة البالغة، تهاجم النيام، صغاراً وكباراً، لتنهش لحمهم، بينما يمتنع بعض الآباء والأمهات عن النوم خشية أن يستيقظوا على صراخ أولادهم والدماء تسيل من وجوههم أو أرجلهم أو أيّ موضع كان.

هذا ما يحدث كلّ يوم، ونحن نودع الشتاء الذي جاء قاسياً. أرسل الله خيراً وفيراً على غزة وغيرها، فكان المطر فوق الخيام شراً فوق شرّ التشرد والعيش في العراء، فكيف سيكون الحال ونحن على أبواب الصيف؟ هذا الواقع تظهّره تقارير أممية صادرة عن المنظمات العاملة في الأراضي الفلسطينية المحتلة، من مثل «أوتشا»، التي أشارت، في تقريرها الصادر في 17 نيسان الماضي، إلى أن القوارض أو الآفات كانت تُشاهد على نحو متكرّر في 1326 من أصل 1644 موقعاً، أي ما نسبته 81 في المئة من المواقع التي يلتمس النازحون المأوى فيها. وأضافت أن الضرر لحق بنحو 1,45 مليون شخص، بينما أبلغ عن أكثر من 70 ألف حالة إصابة بفعل القوارض والطفيليات الخارجية في سنة 2026.

كذلك، لفت التقرير إلى أن معدل انتشار الجرب والقمل والتهابات الجلد يشهد ارتفاعاً أيضاً، متابعة أن الالتهابات الجلدية أو الطفح الجلدي منتشر في قرابة ثلثي المواقع، والقمل في أكثر من 65 في المئة من المواقع، وبقّ الفراش في أكثر من النصف، بالإضافة إلى إصابات أخرى بالطفيليات الخارجية في أكثر من الربع.

من جهتها، أفادت منظمة «أطباء بلا حدود»، في تقرير «المياه كسلاح» الذي صدر الثلاثاء الماضي، بأن إسرائيل دمّرت أو ألحقت أضراراً بنحو 90 في المئة من البنية التحتية للمياه والصرف الصحي في القطاع. وأوضحت أن منحطات التحلية والآبار وخطوط الأنابيب وشبكات الصرف الصحي باتت غير صالحة للعمل أو يتعذّر الوصول إليها. وفي السياق نفسه، أكدت «أوتشا»، في تقريرها المشار إليه، أن هناك مخاطر جراء وجود مياه الصرف الصحي في الشوارع المحيطة بمراكز الإيواء (61 في المئة من المواقع)، والنفايات الصلبة (56 في المئة)، والفيضانات أو المياه الآسنة (24 في المئة). وإذ وثّقت أيضاً حالات تغوّط في العراء، وحالات نفوق حيوانات، فهي أشارت إلى أن 3 في المئة فقط من المواقع لم تُسجّل فيها مخاطر صحية بيئية.

> **جعلت إسرائيل قطاع غزة مكاناً غير قابل للحياة**

إلى جانب تلك الوقائع المستقاة من تقارير المنظمات، تشير معطيات الإعلام الحكومي الصادرة أمس، إلى أن الاحتلال قتل 111 فلسطينياً في 377 خرقاً لـ«اتفاق وقف النار»، فضلاً عن إصابة 376 آخرين. كما أشار البيان إلى أن الاحتلال سمح بدخول 25 في المئة فقط من شاحنات المساعدات، أي 4503 شاحنات من أصل 18000 شاحنة كانت من المفترض أن تدخل، وهو ما ينطبق أيضاً على الوقود الذي دخلت منه 187 شاحنة فقط، من أصل 1500 منصوص عليها في الاتفاق.

يشهد معدل انتشار الجرب والقمل والتهابات الجلد ارتفاعاً (مت الويب)

لا عيد للعمال

في «عيد العمال العالمي» الذي يصادف اليوم، ينعكس واقع غزة الكارثي على قطاع العمل فيها، وسط شلل تام يشهده الاقتصاد الغزي. ووفقاً لبيان وزارة العمل الفلسطينية في غزة، فإن معدل البطالة في القطاع بلغ 80 في المئة؛ إذ فقد أكثر من 250 ألف عامل وظائفهم بشكل دائم، ليسهم هذا الحال في ارتفاع معدلات الفقر إلى أكثر من 93 في المئة، وانعدام الأمن الغذائي الحادّ إلى أكثر من 75 في المئة. وذكر البيان أن 95 في المئة من السكان في غزة يعتمدون على المساعدات الإنسانية المحدودة المقدّمة من المنظمات الإنسانية، والتي تفرض إسرائيل على دخولها إلى القطاع قيوداً كبيرة.

هكذا، جعلت إسرائيل قطاع غزة مكاناً غير قابل للحياة، لكن الناس تتمسك بما أمكنها من أمل، وليس بما لديها من إمكانات العيش الآدمي. أما الأمّ التي وجدت ابنها بلا خد أو أصابع بعد أن نهشها الجرذ، فليس أمامها سوى انتظار أبواب الفرج. هي، بالطبع، لن تملك ترف قراءة هذا التقرير أو تقارير الأمم المتحدة، ولا متابعة خطابات السياسيين. هي تنتظر فقط أيّ بابٍ للفرج.

العراق

بوادر تخفيض للسقف الأميركي
الزيدي يصوغ تصوّره للسلاح

بغداد ـ **فقار فاضل**

يتسلّم رئيس الوزراء العراقي المكلّف، علي الزيدي، مهمّة تشكيل حكومته وسط شبكة مُعقّدة من الضغوط المتقاطعة، تتمحور بأغلبها حول ملفّ سلاح فصائل المقاومة. وتتصدّر دائرةَ تلك الضغوط الولايات المتحدة، التي اختارت، هذه المرّة، في تعليقها على التكليف، تجنّب التدخّل العلني - الذي كانت لجأت إليه في محطّات سابقة -، وارتأت، دبلوماسياً منخفض السقف، بدعم «تطلّعات العراقيين»، ويشدّد على السيادة والاستقرار، ويستبطن رغبة في اختبار خيارات الرجل وحدود حركته. وفي الاتجاه نفسه، أجرى الرئيس الأميركي، دونالد ترامب، مساء أمس، اتصالاً هاتفياً بالزيدي، هنّأه فيه لمناسبة تكليفه، ودعاه إلى زيارة واشنطن. وذكر بيان صادر عن المكتب الإعلامي لرئيس الوزراء، أن «الاتصال شهد استعراض العلاقات الاستراتيجية الثنائية بين العراق والولايات المتحدة، وسبل تطويرها وتعزيزها في مختلف المجالات، فضلاً عن تأكيد الجانبين على العمل المشترك، والتعاون الثنائي من أجل ترسيخ الاستقرار في المنطقة».

ويترافق القبول الأميركي المعلَن للزيدي، بحسب مصادر سياسية مطّلعة، مع ضغوط غير مباشرة تُمارس عبر قنوات داخلية، هدفها تحجيم دور الفصائل داخل مؤسّسات الدولة، أو على الأقلّ منعها من الإمساك بمفاصل القرار التنفيذي. ووفقاً للمصادر نفسها، فإن الزيدي قدّم، خلال مشاوراته الأوّلية، تصوّراً يقوم على «فصل السلاح عن السياسة»، واضعاً إيّاه كأحد أعمدة برنامجه الحكومي، في محاولة منه لبناء توازن جديد بين الأمر الواقع في الداخل والضغوط الآتية من الخارج، ولا سيما من جانب الولايات المتحدة. وفي هذا الإطار، يعتقد الباحث السياسي، جودت كاظم، أن «واشنطن لا تسعى حالياً إلى تفكيك الفصائل بشكل جذري»، بل إلى «إعادة ضبط سلوكها» ضمن معادلة لا تهدّد المصالح الأميركية ولا تخلّ بالتوازن الإقليمي. ويعتبر كاظم، في تصريح إلى «الأخبار»، أن «القبول بالزيدي يندرج ضمن هذا السياق، بوصفه شخصية يُمكن اختبارها في إدارة ذلك التوازن الدقيق، من دون الذهاب إلى مواجهات مفتوحة». ويرى أن «مستقبل الفصائل سيتحدّد على المدى المتوسط، عبر مسار تدريجي قد يشمل إعادة هيكلة جزئية ودمجاً انتقائياً داخل مؤسسات الدولة، في مقابل تقليص النفوذ السياسي لبعضها»، محذّراً من أن «أيّ محاولة لفرض تلك الرؤية بالقوة قد تؤدّي إلى نتائج عكسية، وتدفع نحو إعادة إنتاج التوتر الأمني».

> **المقاومة توكّد أن الضغوط الأميركية لا تشكّل عاملاً مُقرّراً**

في المقابل، يبدو أن الفصائل لا تزال متمسّكة بخياراتها، خصوصاً أنها أثبتت، من خلال انخراطها في المعركة الإقليمية، قدرة ونفوذاً يُصعّب ألّا يُسيّلا سياسياً، فضلاً عن أنها تمتلك شرعية مركّبة، تستند إلى دورها في مواجهة الإرهاب والاحتلال من جهة، وإلى حضورها السياسي والاجتماعي من جهة أخرى. وفي هذا الإطار، يشير قيادي في أحد الفصائل، في حديث إلى «الأخبار»، إلى أن «الفصائل جزء من معادلة الدولة والمجتمع»، معتبراً أن الضغوط الأميركية «لا تشكّل عاملاً مُقرّراً»، في إشارة إلى رفض أيّ وصاية خارجية على القرار العراقي. ويلفت القيادي إلى أن الموقف من الزيدي «لم يُحسم بعد»، مبيّناً أنه «مرهون بطبيعة البرنامج الحكومي ومقاربة الرئيس المكلّف للملفات السيادية».

أمّا المستشار الحكومي، حسين فالمرز، فيعتقد أن «نجاح الزيدي مرتبط بقدرته على صياغة برنامج حكومي واضح الأهداف، قابل للتنفيذ، ويستجيب لمطالب الشارع، ولا سيما في ظلّ بيئة إقليمية مضطربة وتداعيات اقتصادية ثقيلة»، معتبراً، في تصريح إلى «الأخبار»، أن الحكومة المقبلة لن تواجه ملفاً واحداً بل «حزمة أزمات متداخلة»، تبدأ من الاقتصاد ولا تنتهي عند الأمن.

سوريا

فوضى تسريبات دموية
عدالة الشرع الاعتباطية تتعزّز

عامر علي

بالتزامن مع انطلاق محاكمة عدد من رموز النظام السوري السابق، من بينهم قائد فرع الأمن السياسي السابق عاطف نجيب - الموقوف حالياً في سجون السلطات الانتقالية -، إضافة إلى الرئيس السابق بشار الأسد وشقيقه ماهر وعدد من أقربائه ووزير الدفاع (غيابياً)، بدأت حسابات عديدة بنشر مقاطع مُسرّبة، بعضها منشور سابقاً، توثّق جرائم ارتكبها عناصر يتبعون للسلطات السابقة. وبينما قوبلت تلك المحاكمات بانتقادات حقوقية واسعة من جرّاء البروتوكلات المتّبَعة فيها، والتي من شأنها تحويلها إلى مجرّد «ادّعاءات شخصية» - ولا سيما في ظلّ عدم وجود أرضية تشريعية واضحة لها -، دخلت على الخطّ موجة التسريبات التي بدأت بنشر تسجيلات من داخل سجن صيدنايا السيّئ الصيت، والذي تعرّضت مقتنياته، بما فيها «هارادات» كاميرات التصوير والوثائق، للسرقة والعبث والإتلاف، برغم وجود تسجيلات توثّق لحظة فتحه، عندما كانت كاميرات المراقبة تعمل بشكلها الطبيعي.

وأثارت هذه التسجيلات تساؤلات عديدة حول سبب نشرها في هذا التوقيت تحديداً، والهدف من وراء تسريبها بدلاً من تسليمها إلى وزارة العدل، التي دعت مراراً كلّ من يملك وثائق تخصّ النظام السابق إلى أن يقوم بتسليمها. ومع انتشار تسريبات سجن صيدنايا، بدأت حسابات عديدة، معظمها وهمية، بثّ تسجيلات مصوّرة قديمة كانت قد انتشرت خلال سنوات الحرب، بعضها من «ملفات قيصر»، ونسبها إلى سجن صيدنايا. وفي حين قام عدد من الناشطين بالاعتماد على الذكاء الاصطناعي بشكل بدائي في محاولة لتحسين ملامح وجوه الأشخاص الظاهرين في المقاطع الجديدة، وما تتضمّنه من توثيق لانتهاكات دموية تعرّض لها السوريون، أن تتسبّب بحالة التباس كبيرة - وربما تداعيات خطيرة -، كون معظم المواد المتداولة في خلالها غير موثّقة أو تتضمّن معلومات ملفّقة أو غير دقيقة على أقلّ تقدير. كما أن من شأنها أن تؤدّي إلى «تمييع» مسار العدالة الانتقالية، أو تحويله من مسار قضائي إلى حالة «شعبوية» تنحو نحو «الترند» الذي سيحلّ مكانه «ترند» جديد، ما لم تتّخذ السلطات قراراً واعياً وحاسماً في هذا المجال. على أن الحكومة الانتقالية قد تجد في التسجيلات المُسرَّبة دفعاً لمسار العدالة المُتّبَع من جانبها، والذي يُعدّ انتقائياً كونه يتجاهل بشكل مُتعمّد جرائم الفصائل المعارضة للنظام السابق. وفي هذا السياق، كتب أسامة عثمان، المدير التنفيذي لمنظمة «ملفات قيصر»، تعليقاً على المحاكمة التي انطلقت في حقّ عدد من رموز السلطات الآفلة - وجرى تأجيل جلستها الثانية إلى العاشر من أيار المقبل -، في منشور هدف مُحدّد لها.

نشرت التسريبات تسجيلات من داخل سجن صيدنايا السيئ الصيت (أ ف ب)

ومن شأن فوضى التسريبات والتهاكات دموية تعرّض لها السوريون، أن تتسبّب بحالة التباس كبيرة - وربما تداعيات خطيرة -، كون معظم المواد المتداولة في خلالها غير موثّقة أو تتضمّن معلومات ملفّقة أو غير دقيقة على أقلّ تقدير. كما أن من شأنها أن تؤدّي إلى «تمييع» مسار العدالة الانتقالية، أو تحويله من مسار قضائي إلى حالة «شعبوية» تنحو نحو «الترند» الذي سيحلّ مكانه «ترند» جديد، ما لم تتّخذ السلطات قراراً واعياً وحاسماً في هذا المجال. على أن الحكومة الانتقالية قد تجد في التسجيلات المُسرَّبة دفعاً لمسار العدالة المُتّبَع من جانبها، والذي يُعدّ انتقائياً كونه يتجاهل بشكل مُتعمّد جرائم الفصائل المعارضة للنظام السابق. وفي هذا السياق، كتب أسامة عثمان، المدير التنفيذي لمنظمة «ملفات قيصر»، تعليقاً على المحاكمة التي انطلقت في حقّ عدد من رموز السلطات الآفلة - وجرى تأجيل جلستها الثانية إلى العاشر من أيار المقبل -، في منشور على «فايسبوك» تحت عنوان «من محاكمة القرن إلى مسرحية هزلية»، أن ما جرى في دمشق «محاكمات استعراضية، وليست عدالة انتقالية، بل هي محاولة لتفريغ العدالة من مضمونها: هي دعاية سياسية تُدار باسم العدالة، ووسيلة لتمييع قضية بحجم تضحيات السوريين المستمرّة حتى اليوم». ونبّه إلى أن «العدالة لها شروط واضحة، أهمّها: قضاء مستقلّ لا يخضع لتوجيه سياسي أو أمني، وقوانين تجرّم الجرائم الجسيمة كجرائم ضدّ الإنسانية وجرائم حرب وإبادة (لجميع الأطراف)، وشمول سلسلة القيادة ونزع الحصانات عن كلّ منصب سياسي أو أمني أو عسكري سابق أو حالي»، مؤكّداً أن «هذه الشروط غير متوفّرة في المسرحيات القضائية التي تُدار اليوم تحت غطاء السلطة الانتقالية، وما دام الجوهر فاسداً، فما يُقدَّم ليس عدالة بل إدارة سياسية للغضب الشعبي وتحريف للحقّ».

إلى ذلك، نشرت صحيفة «الغارديان» البريطانية معلومات عن تشكيل «ملف قضائي» ضدّ فادي صقر، قائد الدفاع الوطني السابق في دمشق، والمتّهم بالتورّط في مجازر حيّ التضامن. وكان مُنح الصقر نوعاً من الحصانة، بعدما اعتبرته السلطات الانتقالية «شريكاً في إسقاط نظام الأسد»، وهو ما أثار موجة واسعة من الاستنكار في الشارع. ونقلت الصحيفة عن نائبة رئيس اللجنة الوطنية للعدالة الانتقالية والمستشارة في وزارة الخارجية زهرة البرازي، قولها إن «اللجنة، رغم تعيينها من قبل الحكومة، هيئة مستقلّة ستحيل نتائجها إلى القضاء السوري الذي سيقرّر ما إذا كان سيتابع القضية»، وإن «هناك أدلة كافية ضدّ صقر، ولا أحد فوق القانون».

الحرب الكونية ضد المقاومة

تتصاعد سردية «السلاح المناخي» من فيتنام إلى الخليج، مع اتهامات بأنّ واشنطن تستخدم الطقس أداةً لزعزعة إيران. أمطار مفاجئة أعادت إحياء هذه الفرضية، مستندةً إلى سوابق تاريخية وتصريحات متداولة، في مقابل غياب أي دليل علمي حاسم يثبت تحوّل المناخ إلى سلاح سياسي مباشر

صورة مولّدة بالذكاء الاصطناعي

السلاح المناخي ينتقل من فيتنام إلى الخليج
هل منعت واشنطن الأمطار عن الشرق الأوسط؟

علي سرور

لا يزال المسار السياسي والعسكري للحرب الكبرى في منطقة الشرق الأوسط لم يصل إلى مرحلة إنتاج الانفراجات السعيدة. لكن بينما انشغلت إيران في إمطار القواعد الأميركية في المنطقة بصواريخها، حصل انفراج مناخي استثنائي فاجأ شعوب دول عدّة متعطشة لكميّة تساقطات «محترمة». وبين المصادفة وربط الخيوط ببعضها، أشعل منشور لسفارة إيران في أفغانستان مواقع التواصل الاجتماعي لأيام متواصلة، بعد ادّعائها بأنّ الارتفاع غير المسبوق منذ عقود لنسبة هطول الأمطار في إيران والعراق وتركيا، كان نتاج تدمير طهران مركز التحكّم في المناخ داخل الإمارات العربية المتحدة. بوسع واحد كان كفيلاً بإطلاق موجة عالمية تدور حول نظرية مؤامرة تضع الولايات المتحدة في قلب مخطّط يستخدم التلاعب المناخي كسلاح. ورغم غياب أي دعم علمي يسند هذا الاتّهام، إلّا أنّ تصاريح إيرانية رسمية سابقة خلال العقد الماضي وسوابق تاريخية لواشنطن في هذا السياق، إضافةً إلى إفادات من متعاقد سابق في الاستخبارات الأميركية المركزية، أسهمت في تزويد الناشطين بالأرضية اللازمة للمضي قدماً في النظرية «الجريئة».

شرارة «إكس»: منشور واحد يشعل العالم

بدأ كل شيء على منصّة «إكس» بمنشور السفارة الإيرانية في كابول، زعمت فيه «تدمير مركز سري لزرع السحب وتغيير المناخ في الإمارات العربية المتحدة». وقالت السفارة إنّ هذه العملية أحدثت تحولاً فورياً وكاملاً في أنماط الطقس الإقليمية. لكنّ المنشور خلا من أسس علميّة تدعمه، إضافة إلى أخطاء إحصائية واضحة في الصورة المرفقة التي ادّعت أنها تشير إلى الرصد المناخي الحالي، بينما يظهر في زاوية الصورة نفسها أنّها تعود إلى سنوات مضت. لذا عاجلت السفارة إلى سحب المنشور رغم التفاعل الكبير معه.

لكنّ سحب الإعلان لم يطفئ شرارة الناشطين في البحث أكثر في هذه الزاوية. بالفعل، أشار ناشطون من الشرق الأوسط وخارجه، إلى أنّ متغيّراً جذرياً طرأ على المناخ الإقليمي برمّته، حيث هطلت أمطار غزيرة، خصوصاً في إيران وتركيا والعراق. إلى جانب ذلك، امتلأت بحيرات السدود المائية بمعدّلات عالية، على عكس الجفاف القاسي الذي ضرب العام الماضي. وصاحب هذه الأمطار تساقط متأخّر نسبياً للثلوج في بعض المناطق، وانخفاض حادّ في درجة الحرارة المئوية.

استدعاء الماضي: اتّهامات قديمة وشهادات مثيرة

في هذا الإطار، استحضر الناشطون مقاطع قديمة من أكثر من خمسة عشر عاماً للرئيس الإيراني الأسبق، محمود أحمدي نجاد، يتّهم فيها حلف «الناتو» بالتلاعب المناخي في دول عدّة حول العالم، من بينها إيران، لمنع الأمطار عنها بهدف افتعال المشكلات الاجتماعية والسياسية. بالإضافة إلى ذلك، انتشر على سياق واسع مقطع لحوار بين الإعلامي الأميركي، تاكر كارلسون، في العام الماضي، مع المتعاقد السابق مع الاستخبارات الأميركية المركزية، دان وينينغتون، يكشف فيه عن عملهم منذ ما قبل أحداث 11 أيلول (سبتمبر) 2001، لتحويل المناخ إلى سلاح. وقال وينينغتون إنّ الجنرال ويسلي كلارك أعطاهم أوامر بخلق الفوضى في إيران عبر التسبّب في جفاف يؤدّي إلى حرمان البلاد من المياه، وبالتالي التأثير في الأمن الغذائي.

لم تنحصر «نظريّة المؤامرة» ببعض الناشطين، بل واكبتها معدّلات استثنائية بعشرات آلاف الإعجابات ومئات آلاف المشاهدات. لذلك، تواصلت الموجة الاتهامية للولايات المتحدة وبعض حلفائها لأيام عدّة وعلى امتداد ناشطين من مختلف أصقاع الأرض.

بين الشك والعلم: فجوة بلا أدلّة حاسمة

لكن رغم الاهتمام الواسع بالموضوع، إلّا أنّ ربط الجفاف الذي يضرب المنطقة بأيد بشرية لم تدعمه أي دراسة علمية موثوقة أو تحقيق مستقل يربط بين الحدثين. في هذا الإطار، نبّه بعض الناشطين إلى أنّ مركز التحكّم في المناخ في

> اتّهمت إيران الولايات المتحدة بالتسبّب في الجفاف المستجدّ في البلاد

الإمارات، والمرتبط بطريقة أو أخرى بمشروع «هارب» الأميركي الذائع الصيت حول التلاعب بالمناخ، ليسا الوحيدين المسؤولين عما وصفه «مركز الأبحاث الاستراتيجية الدولية» (CSIS) بمعدلات الحرارة الأعلى من المعدّل العالمي التي شهدتها المنطقة العام الماضي. ولفتت بعض الخلاصات إلى أنّ شبكة الرادارات الأميركية وغيرها المنتشرة بمعدّلات عالية في المنطقة، قد تكون مسؤولة عبر إشاراتها المتواصلة عبر الساعة، عن إخفاء الغيوم.

من جهة أخرى، لا ترقى الدراسات المرتبطة بهذا الموضوع إلى مستوى التأكيد، لكنّ الناشطين استمروا في نظريّاتهم بسبب ما اعتبروه إخفاءً لهذه التكنولوجيا ونتائجها عن المراكز العلمية. في هذا الإطار أيضاً، كشف أحد الناشطين الكنديّين عن رفض الحكومتين الكندية والأميركية إعطاءه معلومات حول المشروع المناخي المشترك بين البلدين «لأسباب عسكرية».

من فيتنام إلى اليوم

من جهة الحقائق المرتبطة سياسياً واجتماعياً في إيران، لا يخفى العداء الأميركي لطهران منذ أربعين عاماً، كما يُعلن البيت الأبيض، بيمينه ويساره، عن دعمه المباشر وغير المباشر لمسعى تغيير النظام في إيران. كذلك، كشف الرئيس الأميركي، دونالد ترامب، عن محاولة تسليحه «المعارضة» الإيرانية بداية العام الحالي، إبّان احتجاجات اندلعت بسبب تردّي الأوضاع الاقتصادية والنقدية في بلاد منهكة من عقوبات أميركية استنزفتها لعقود. لذا، يُدخل مروّجو فكرة استخدام الطقس كسلاح، ضمن إطار المشروع السياسي ذاته، من جهتها، اتّهمت إيران في مناسبات عدّة، آخرها عبر الحرس الثوري في عام 2018، و«المجتمع العلمي المناخي الإيراني» في عام 2022، الولايات المتحدة بالتسبّب في الجفاف المستجدّ في البلاد. علماً أنّ تظاهرات عدّة اندلعت على خلفيّة شحّ المياه في إيران، إضافة إلى طرح السلطات العام الماضي لأوّل خطّة نقل سكّان طهران إلى مدينة جديدة بسبب الأزمة المناخية الوجودية.

من باب الحقائق غير المتبناة إلى جانب مشروع «هارب» الأميركي السرّي للتحكّم في الطقس، تداول ناشطون استخدام واشنطن لسلاح الطقس من أكثر من خمسين عاماً. الحدث المعروف باسم «عملية بوباي»، جرى بين أعوام 1967 و1972 خلال الحرب الأميركية على فيتنام. والمشروع العسكري الأميركي السرّي عمل على إطالة موسم الرياح الموسمية، باستخدام يوديد الفضة لزيادة هطول الأمطار فوق طريق «هو تشي منه». وكان الهدف من هذا البرنامج، الذي نُفّذ من تايلاند، هو تعطيل عمليات الإمداد اللوجستية لفيتنام الشمالية عن طريق تليين أسطح الطرق والتسبّب في انهيارات أرضية.

من جهة أخرى، رفض آخرون على وسائل التواصل الاجتماعي النظرية التي لا تستند إلى دراسات علمية من المصادر الموثوقة دولياً. لكنّ الناشطة والكاتبة سوزان ابو الهوى نشرت على «إكس» رأيها الذي حصد عشرات الآلاف من الإعجابات في وجه المشكّكين: «لقد سئمت حقاً الناس الذين يصفون هذا الأمر بـ«نظرية المؤامرة». فكل «المؤامرات»، بدءاً من الابتزاز الجنسي في أعلى مستويات السلطة، مروراً بالحروب التوسعية والصراعات من أجل النفط، وصولاً إلى شبكات الاستغلال الجنسي للأطفال التي تضم النخبة وأعمال أكل لحوم البشر، تبيّن أنها حقيقية. لكن لا يزال هناك حمقى يعتقدون أنّ الإشارة إلى أنّ الولايات المتحدة كانت تتلاعب بنشاط بالطقس في شرق آسيا لعقود هي جنون، رغم أنها قد استخدمت تعديل الطقس كسلاح منذ حرب فيتنام».

حسن أحمديان
نموذجُ الشباب الإيراني

بينما تشتعل الميادين، يبرز حسن أحمديان كأهم مكاسب المواجهة الراهنة، ليس كشخص، بل كنموذج للشباب الإيراني المتسلح بالمعرفة، بهدوء واثق ولغة عربية ناصعة، يُفكك بروباغندا القوة، ويواجه جيوشا من المحللين بمنطق الأرقام والرصانة، محوّلاً الشاشة إلى جبهة وعي تُربك «عنجهية المستكبر» وتنتصر للعقل

عبد الله عبد

من أهمّ مكاسب جولة الحرب الحالية بين إيران من جهة، والولايات المتحدة وإسرائيل (والدول الخليجية) من جهة أخرى، أمران:

الأول هو تمزيغ عنجهية دونالد ترامب في القار القاني الثقيل لآبار النفط الذي يلهث وراءه، وفي طمي مضيق هرمز الذي يريد قرصنته كما فعل بغيره من مناطق الثروات وممراتها. هذا التمريغ فعل ضروري يجب أن يستمر حتى امّحاء الملامح، فرغم عدم توافقك مع الأدبيات السياسية والدينية للنظام في إيران، فإنك ستفهم معنى مصطلح «المستكبر» من خلال هذا الأخرق المختلّ، بالنظر إلى تصريحاته وأفعاله، وطريقته في ليّ شفتيه وشموخ رأسه، وحركة يديه اللتين كأنّه يُنهي بهما بزّالاً في المصارعة الاستعراضية، التي يُشبهها من حيث أنّ كل ما فيها مُضخّمٌ وغير حقيقي، بدءاً بعضلات المصارعين، مروراً بتصريحاتهم المتوعّدة قبل النزال، انتهاءً بالنزال نفسه وما ينتج منه من ربح، حتى ليُبدو أنّه تعلّم السياسة من كل ذلك. أما الأمر الثاني، فهو حسن أحمديان.

في حالة أستاذ دراسات الشرق الأوسط في جامعة طهران، ليس الأمر شخصياً، مع أن الأسباب الشخصية لا تنقص للإعجاب به، بل الغيرة منه. أنت كشاب (أو أنتِ كفتاة)، لا يمكن إلا أن تندم على الوقت الذي أضعته في أفعال غير القراءة والتعلّم، وأنت تستمع إلى تحليله الهادئ الرصين، المدعّم بالأرقام وبهدوء واثق جليدي، وتشاهد جلسته الراسخة، بعمود فقري مستقيم، ويدين متشابكتي الأصابع مستقرتين فوق الطاولة، من دون أن يتكلّم في غير الوقت المخصص له، ومن دون أن يسمح لأحد بمقاطعته، مُذكّراً بأنّه لم يقاطع أحداً في الأوقات الساخنة، «احفظ رأسك بارداً»، يقول جوزيف سماحة، ويُطبّق حسن أحمديان.

يُقدّم أحمديان قراءته للأحداث على شاشة قناة «الجزيرة» القطرية، في مختلف فترات اليوم، بلغة عربية سليمة وناصعة، على نحو يُخجل الضيوف اللبنانيين والخليجيين، قبل أن يُخجلهم بعمق تحليله وقوة حجّته، على نحو يجعلهم يتعثّرون بالأحرف والأفكار، فيبتعدون أكثر عن المنطق العلمي الصحيح، الذي لا يخفى على المتابع العادي، بسبب وضوح العدوان في هذه الحرب، ومشروعية الرد على مصادره. كما يُطلّ الشاب الإيراني في لقاءات عبر قنوات أجنبية على اليوتيوب، متحدثاً بلغة إنكليزية صحيحة، بنبرته العقلانية الباردة ذاتها، وقد زادت مشاركته في هذه القنوات بسبب رواج مقاطع فيديو قصيرة له، يصرع خلالها مُساجله العربي بكلمات قليلة، مُسكتاً إياه إلى حين استعادة تماسكه.

المحطة اليومية الأبرز لأحمديان، التي أصبحت منتظرة من المشاهدين، هي مشاركته في برنامج «نقاش الساعة»، الذي يُبثّ بين الساعتين 10 و11 على «الجزيرة». يشارك في هذا البرنامج ثمانية ضيوف، لا تملك وأنت ترى أحمديان يُصارعهم فكرياً، ويُفحمهم كابحاً اندفاعتهم الفارغة، إلا أن تقول مُعجباً: «السبع بسبعة!». في الحقيقة، ليس السبعة الآخرون جميعاً ضده تماماً، لكنّ أياً منهم ليس معه تماماً أيضاً، في حين أنّ التوافق، بل التحالف، لا يغيب عن اثنين أو أكثر من الضيوف الآخرين: هناك أحد «فلول صدّام»، الذي تلقفته إحدى مؤسسات قطر بصفة «باحث أول»، وهو الذي أغاظه جداً في بداية الحرب مشهد المواطنين الإيرانيين يشترون لوازم فطورهم من أحد مولات طهران، ويمارسون حياتهم اليومية العادية، فأكّد أن الولايات المتحدة لن تحقق شيئاً من الحرب إن لم يحسّ هؤلاء بالخوف ويمتنعوا عن الخروج إلى الشوارع. وهناك الضيوف الخليجيون، سريعو الانفعال والارتباك، ضعاف الإعداد والتحضير، حتى أنهم يستعينون بهواتفهم خلال الحلقة للتحقق من الإنترنت من صحة مادة قانونية دولية ذكرها أحمديان، ويكرّرون الكلام ذاته خلال الحلقة، ومن يوم إلى آخر. وهناك أيضاً الضيوف اللبنانيون، الضليعون جداً في القوانين الدولية، ولكن ليس إلى درجة إدانة إسرائيل التي تخرقها في كل ثانية، أو الولايات المتحدة التي اعتدت على دولة ذات سيادة، بل فقط لإدانة من يقاومون إسرائيل، ومن يرد على العدوان عليه بإغلاق مضيق هرمز إغلاقاً موجعاً للمعتدي ومستضيف قواعده العسكرية. وهناك أخيراً باحثون وأساتذة جامعيون فلسطينيون، يحاولون أن يكونوا موضوعيين، قدر إمكانهم، في بيان العدوان والغدر الأميركيين، والإشارة إلى العقلانية والنبة الطيبة لدى إيران، والحديث عن ضرورة مراجعة الدول الخليجية لجدوى الاتكال على الولايات المتحدة دفاعياً، وحتمية حوارها مع إيران بعد انتهاء الحرب (التي كان هدفها إسقاط النظام هناك)، والمكاشفة التامة بينها في ما يخصّ المخاوف المتبادلة ومستقبل المنطقة وأمنها، لكنّ هؤلاء لا يمكن أن يذهبوا بعيداً في وضع النقاط على الحروف، لأنهم يعملون في «مراكز الأبحاث» القطرية، ويُدرّسون في «جامعات» الدوحة، من ضمن خطة الاحتواء للنخب الفلسطينية التي أقدمت عليها قبل سنوات عدة الإمارة الغنية بالموارد الطبيعية، الفقيرة بالموارد البشرية.

كنت أقول إن الأمر ليس شخصياً في حالة حسن أحمديان، بل يمكن تعميمه على شريحة الشباب الإيراني. لنسأل أنفسنا: كيف نهض هذا البلد المحاصر، بعد أن شُنّت عليه حرب في الأشهر الأولى لانتصار ثورته؟ كيف ثبت على مدى حربين في مواجهة قوتين هائلتين، رغم الخسائر الكبيرة التي تعرّض لها على مستوى قادته؟ ألم يعوّض الشباب أنفسهم القادة الأكبر سنّاً الذين تمّ اغتيالهم؟ وأخيراً، ما الفرق بين الشباب في إيران، والشباب في دول الخليج العربية، ولنأخذ السعودية كمثال، كونها أكبر تلك الدول؟ أليست اعتمادية الشعب الإيراني على نفسه، من خلال قواه الشابة تحديداً، في مختلف المجالات، بدءاً من الزراعة وصولاً إلى الصناعات العسكرية والطاقة النووية، وقطيعته مع الدول الرأسمالية الغربية، سبباً كافياً لخشية هذه الدول منه، ولشنّ كبيرتها وربيبة هذه الأخيرة حرباً عليه، لمحاولة القضاء على النموذج نفسه، لا على هذه الحالة فقط؟

أثر الحرب
عن معنى المَسكن وشكل النزوح

(مروان بو حيدر)

تغريد الزاتاني

وكأنّ الدنيا انقلبت بمن فيها. عجيبٌ كيف استطاع مفهوم الأمان أن يُمحي فينا طباعاً على حساب غريزة النجاة.

يوم النزوح (الفصل الثاني)

فجر الثاني من آذار 2026، أظهر الجنوبيون مهارات أمام تحدي النزوح الجديد. علموا ما ينتقون من ديارهم. صنّفوا مستلزماتهم ضمن حقائب «خفيفة وبتساع». أخذوا مربطان الزيتون والحقائب المدرسية. أخذتْ أوراق الكينا.

زحمة السير باتجاه العاصمة تشتدّ منذ ساعات الفجر الأولى وتتشكّل كخطوط عمودية لا نهاية واضحة لها ولا فرج.

بيك آب ينقل دراجة نارية. شاحنة تنقل بقرة. شاحنة أخرى تنقل خرفان عيد الفطر، وكل المركبات تنقل بشراً إمّا بثياب النوم أو بملابس رياضية، ولكنهم جميعاً بسُحنة واحدة: وجوهٌ شاحبة تبحث عن سُبُل العودة. سيذهبون و يرجعون ولا يبيعون الأرض بذهب الأرض.

لا يضيع الوقت في زحمة النزوح. بل ينحسر. تتنقّل الشمسُ من فوقنا نحو المغيب، ويحتّم الظلام مع ظهور قمر رمضان.

لا يزال النازحون صائمين.

أضواء السيارات تكسر عتمة الليل. والوقت ينحسر ما دمت عالقاً. ينحسر حدّ الانفجار. يُعلّقُ سائخرون بأن الجنوبيين اعتادوا النزوح. تتردّد هذه العبارة وكأنها مهارة يمكن إضافتها إلى السير الذاتية المُنقّحة. في طَلّ قسوة المُشاهد، تعتاش منصات مواقع التواصل من السخرية وخطاب الكراهية.

لا يا حبيبي. الجنوبيون اعتادوا دفع الدم مقابل العودة، مهما تكرّر فعْل النزوح.

نوافذ المدينة صاحية

تُحصي» نوافذ المدينة مساحاتها الرمادية كلّها. كلما مُستيقظ حتى الفجر، مضت عشرات الأيام ونحن عائمون في دوامة الأخبار العاجلة بكل مستوياتها: المُفبركة، الحقيقية والخيالية. لا ترى مبنىً تخلو نوافذه من الأنوار. ليلٌ الناس انقلب نهاراً، ونهارهم استحال صُجيجاً ورُحمةً وتسوّقاً.

هُهنا فندقٌ مكتظٌ بالناس ويموج مع حركتهم. يتوقّف صهريج المياه عند مدخله بشكل شبه يومي ليملأ الخزانات. لا المساحات تكفينا ولا الموارد. حزينة هيئةُ الفندق السياحي وقد تحوّلت شبابيكه بسهولة إلى صُرفات لنشر الغسيل.

عند الطابق الرابع، يشقُّ نزيل نافذة غرفته المربّعة لتنفيذ السجائر السائمة، يُنفّخ من دون أن تنجلي أحواله. ربما اعتاد تنفيخ سجائره السائمة عند شرفات منزله الجنوبي، أو عند الجلال الخضراء، وبين أشجار الحمضيات. في مقرّ نزوحه الآن، لا يستطيع أن يسرح ولا أن يمرح. وإذ يصل عامل توصيل توترز، قرابة منتصف الليل، مُحمّلاً بأكياس الطعام الجاهز.

ماذا يعني المسكن؟

يُعنى بـ«المسكن» أسلوب الفرد بالتواجد في العالم، فالمسكن هو «المرجع المكاني» للفرد وفيه يُحقّق الرفاه النفسي ويدعم سلامه الداخلي. يُرتّبه ليكونَ تجسيداً لهويته الشخصية.

من هنا، يقوم الفرد بشكل طبيعي بجمع أشيائه المألوفة وإضافة لمسأته الخاصة بغية خلق مساحة حميمة تُناسب حركته وفيزيولوجيا جسده، لينغمس لاحقاً بخلق الذكريات، فيُضحي المسكن أخيراً شكلاً تعبيرياً يُعزّز التعلّق والانتماء: الكنبة العتيقة التي تُناسب جسد المستهلك الأصلي، الصحن المكسور طرفه «بالغلط» إبريق الشاي الوحيد، صرير بابٍ لم يُصلِحه أحد، رائحة الثياب المغسولة.

تفسّر هذه التفاصيل الألم النفسي والجسدي الذي يخلّفه ترك البيوت نحو أماكن سكن غريبة، ولو كانت مريحة أو حتى مألوفة، إذ إن فقدان المسكن يعني فقدان الاستقرار والخصوصية والمرجع المكاني للفرد.

أين يذهب كل هذا الدخان؟

يحتلّ الدخان مساحة الهواء. بعد الغارات، يكتسح الدخان الأسود والرمادي وسع الفضاء. لا ينقشع المشهد تماماً حتى عدة ساعات يؤمّن خلالها التصاق ذرات الغبار في الحناجر، في الشُعب الهوائية، داخل الرئتين، في العيون وفوق مسام الجلد. نستنشق دخاناً نتج من ارتطام السقف بالقعر، وخنق الشهداء تحت الردم. فتّت الزجاج ونهش المباني.

أين يذهب كل هذا الدخان؟ يتصاعد بكل درجات اللون الأسود، فتتّسع رقعته تدريجياً حتى يبهت كلياً، متبعثراً نحو السماء، تاركاً للمناطق مشاهد تذكارية عن وحش لا وزن له ولا ملمس. رائحةُ البارود تشبه الشرّ.

عن العافية وبركة الزيتون

لم يحلّ الربيع أواخر شهر آذار هذه السنة، وبقيت درجة الحرارة دون معدلاتها الموسمية ومع احتمال تساقط الثلوج على الجبال العالية، هكذا يشرح جو قارح حالة الطقس عبر صفحته على إنستغرام. أخّرت المنخفضات الجوية قدوم الربيع على جنوبنا، لكن أرض الجنوب أنضجت شجر اللوز في الوقت المناسب لقطفها: فترة الهدنة.

زيارةٌ حذرة لأرض الجنوب خلال الهدنة الهشّة دلّتنا فيها الأزهار البرية على حلول فصل الربيع، وعلى جانب الطرقات ألقت الاعتداءات الإسرائيلية بثقلها فوق المباني والعقارات، تكاد تستنشق رائحة البارود.. والشرّ. الأرض تعرف المواسم مهما تأخّر الربيع، هنا العشب الأخضر حاضر في الحقول، والأزهار البرية تذكرنا بالحب. أرض الزيتون معطاءة، «الزيتون يعرف من زرعو»، يقول منشور متداول عبر منصات التواصل. كان الشتاء الطويل دليلَ عافية. اكفهرّت سماء نيسان وكأنها تطبق على الأرض. سَتَرَ ضباب نيسان الحدود وكأن يد الله تمتد للحظة. لموسم. ويد المجاهد تمتد حتى النفس الأخير.

الأخبار
al-akhbar
www.al-akhbar.com
الجمعة 1 أيار 2026 العدد 5769

وقفة

بين كلمات تأبين الشهيدة الزميلة أمال خليل، حضرت رمزية لافتة بدخول قطة بين الحشود وجلوسها قرب المنبر. في مشهد عكس جانباً من شخصية خليل المحبة للحيوانات. الوقفة التي نُظّمت أمس أمام «مقر اللجنة الدولية للصليب الأحمر» في الحمرا، استعادت سيرة خليل كمناضلة قبل أن تكون صحافية، حملت قضايا المعتقلين بلا تمييز، وواكبتها ميدانياً وإعلامياً. وطالب المشاركون بمحاسبة المسؤولين عن اغتيالها، عبر آليات قانونية دولية تضع حداً لإفلات الجناة من العقاب، مع التأكيد على ضرورة تحويل المواقف إلى خطوات عملية وتحقيقات دولية جدية.

وفاءً لآمال خليل... لا للإفلات من العقاب

عائلة الشهيدة آمال خليل (مروان بو حيدر)

غادة حداد

بين الكلمات التي استذكرت الشهيدة الزميلة آمال خليل، وتحديداً حبها ودفاعها عن الحيوانات، دخلت قطة بين الحشود، ووجدت لنفسها مكاناً قرب المنبر، حتى طغى مواؤها لثوانٍ على الكلمات. أمام «مقر اللجنة الدولية للصليب الأحمر» أمس في الحمرا، تجمّع عدد من الناشطين الحقوقيين والصحافيين وعائلة خليل، وحضر يوسف فواز ممثلاً وزير الإعلام المحامي بول مرقص، في تحية وفاء لخليل، بدعوة من «مركز الخيام لتأهيل ضحايا التعذيب» وأصدقاء ورفاق خليل، وقطة «أدركت حب خليل لها» كما قالت إحدى المشاركات.

كشفت هذه الوقفة عن جانب آخر للشهيدة، فبرز الوجه الإنساني لخليل، وماذا يعني أن يكون الصحافي إنساناً بالدرجة الأولى، بالفعل وليس بالشعارات. فقد ناضلت من أجل قضية الأسرى في سجون الاحتلال الإسرائيلي، والمخفيين قسراً في الحرب الأهلية اللبنانية، وحقوق الحيوان.

صحافية ومناضلة ثورية

في كلمته، قال رئيس «مركز الخيام لتأهيل ضحايا التعذيب» محمد صفا إنه لم يتوقع أن ترحل خليل، فقد تعرّف إليها يوم جاءت متطوعة منذ 30 عاماً، وحملت صور جميع المعتقلين من دون أي تمييز لحزب أو تنظيم، فهي عرفتهم جيداً وعرفت أهلهم وزارت منازلهم، والأوفياء يحملون صورها الآن. قبل أن تكون إعلامية، هي مناضلة وثورية، وشاركت في اعتصامات ضد التعذيب في معتقل أبوغريب، وسافرت إلى أثينا وإسطنبول ضد الاستبداد العربي ومناهضة التعذيب. وقال إنه خلال عملها الصحافي في جريدة «الأخبار»، كانت تنفذ عمليات للمقاومة، فكل رسالة وكل خبر وكل مقطع فيديو، كانت عمليات ضد الاحتلال الإسرائيلي.

وألقى شقيق الشهيدة علي خليل كلمة العائلة قال فيها إن آمال لم تكن تبحث عن سبق صحافي، بل سعت إلى نقل الحقيقة، ولم تبخل بمعلومة عن زملائها لتوثيق انتهاكات العدو. وقد طلبت من زميلتها زينب فرج استخدام أحد هواتفهما لتوثيق ما كان يجري حتى اللحظة الأخيرة. كما تحدثت ابنة شقيقتها روان جابر التي عبّرت عن فخرها بكل ما تعلمته وورثته من آمال، وقالت إننا لا نعلم إلا القليل عن آمال خليل وأخلاقها ومبادئها التي لم يكن من الممكن أن تتنازل عنها، إضافةً إلى تواضعها وعطائها وطيبتها وتضحياتها الكثيرة.

اغتيال المناضلة المثال

ووجهت رئيسة لجنة المفقودين في لبنان وداد حلواني تحية إلى «صديقتي الجميلة آمال»، وقالت إن مدخل

وداد حلواني، رئيسة لجنة اهالي المفقودين (مروان بو حيدر)

تعارفهما كانت قضية المخفيين قسراً في الحرب الأهلية اللبنانية، وبدأت آمال العمل مع اللجنة من موقعها في مركز الخيام في جنوب لبنان، وتضامنت مع القضية وواكبتها كصحافية وكواحدة منهم، وشاركت في معظم تحركاتهم، وتقربت من أهالي العائلات وكتبت عن معاناتهم. وخلال عملها في الجنوب، وثّقت همجية الاحتلال وجرائمه ومجازره بحق السكان الآمنين والحيوانات والمزروعات والبيئة «بالكلمة الجريئة والصوت العالي والصورة الناطقة». وختمت قائلةً: «اغتيلت المناضلة المثال، يا مئة ألف خسارة»، وأضافت لها لقب «سفيرة الكرامة الإنسانية».

ووصف المناضل جورج عبدالله خليل «بالوجه المشرق للمقاومة الشعبية»، مؤكداً على أنّها محفورة في وجدان كل مناضل في هذه الديار، وكل أسير يسمع صوتاً يأتيه من خلف القضبان، بعيداً عن أي ضجيج، وعن الخيانات التي نرى ملامحها تتحول الآن أمام محاولات التطبيع والتدنيس لدماء الشهداء ومواقف الأبرار.

الضغط لمعاقبة إسرائيل

من جهته، قال الصحافي بسام القنطار: «آمال خليل عنوان للوفاء، ووفاء للشهيدة آمال خليل وكل شهداء الصحافة والإغاثة وفرق الإسعاف والطبابة والشهداء المدنيين على امتداد الوطن الجريح، يكون بالعهد والوعد بأن نبقى نناضل لعدم إفلات الجناة من العقاب». وهذا يصار له من خلال محاكمة ومعاقبة من قتل آمال خليل، بقرار من مجلس الوزراء فوراً بقبول اختصاص محكمة الجنايات للتحقيق في انتهاكات حقوق الإنسان والقانون الدولي الإنساني في لبنان. وأضاف أنّ «معاقبة الجناة على أفعالهم الفردية الجنائية، وأفعال دولة الاحتلال، ومنع الإفلات من العقاب، تكون عبر لجان دولية مستقلة للتحقيق في الجرائم المتمادية والمستمرة لقوات الاحتلال».

وباسم أسرة «الأخبار»، تحدث المتخصص في العلوم الجنائية الزميل عمر نشابة عن الحاجة إلى تحقيق دولي متكامل بعد التعرّض المباشر للصليب الأحمر الدولي والمسعفين والأطباء والمراكز الطبية والصحافيين، وضرورة تحويل الكلمات والبيانات إلى أفعال وخطوات ملموسة وتحقيقات دولية، ولجنة تقصي حقائق دولية، وفتح تحقيق في المحكمة الجنائية الدولية. وإذا كان هناك اعتراض على التوقيع على نظام روما الأساسي، يمكن الافادة من المادة 12 من النظام (الفقرة الثالثة)، وطلب اختصاص انتقائي، أي اختصاص محدد للنظر بجريمة محددة.

صديقة وحامية الحيوانات

أما رفيقة وصديقة خليل الناشطة غنى نحفاوي، التي اجتمعت مع خليل في «لجنة المتابعة لقضية المعتقلين اللبنانيين في السجون الإسرائيلية» و«مركز الخيام لتأهيل ضحايا التعذيب»، فقالت إنهما التقيا على همّ إعادة للمعتقل صوته، وللمنسي اسمه، وللمقهور كرامته. وقالت إنّ قلبها اتسع للوطن كله ولم يضق لمخلوق ضعيف، فبعد إنهاء عملها الميداني، كانت تسعى لتنقذ الكلاب والقطط الشاردة وتطعمها، وحتى في أيام السلم كانت ترصد كل انتهاك بحق الحيوانات البرية. وفي حديث معنا، قالت نحفاوي إن هذا الجانب من الشهيدة آمال خليل لا يعرفه الكثير من الناس. إذا أردنا العودة إلى ما قبل الحرب، فقد شاهدنا بعضاً مما كانت تقوم به كمراسلة، خصوصاً في ظل كثرة الضحايا، ومن بينهم الحيوانات. وبحكم كونها مراسلة، كانت تنقل الكثير من هذه المشاهد، فبدأ الناس يلمسون هذا الجانب منها، لكن الحقيقة أن حب آمال للحيوانات لم يكن وليد الحرب، بل هو قديم جداً.

وتضيف: «تربطني بآمال علاقة منذ 25 عاماً. منذ ذلك الوقت، كنا متعاهدين أنه في أي ساعة، وأي مكان في الجنوب، إذا وُجدت حالة لحيوان بحاجة للمساعدة، نبذل المستحيل لإنقاذه، ولو اضطررنا لإيقاظ أطباء بيطريين ليلاً لاستقبال الحالة. قد يظن بعضهم أنّ الاهتمام بالحيوانات أمر طارئ، لكنهم لم يكونوا موجودين عندما كانت آمال تصرخ بكل اللغات في الأمم المتحدة دفاعاً عن المعتقلين وهم بشر. آمال كانت إنسانة بكل ما للكلمة من معنى، وكان لديها حب وشغف للقطط، والبستان أمام منزلها مليء بالقطط التي أنقذتها من الشارع».

وتتذكر حالة كلب صدمته سيارة، ونقلته ليلاً إلى الطبيب. ورغم صعوبة حالته، كانت تحاول إجراء عملية له لعلّه يستعيد قدرته على المشي. وفي حالة أخرى، احتفظت بكلب عاجز قرب منزلها لتبقى تراقبه وتعالجه حتى يتعافى. وخلال الحرب، كانت آمال تخبر نحفاوي عن خيول شردت من مزارعها، وتسعى لإيجاد أصحابها أو التواصل مع جمعيات لتأمين الطعام لها. ولم يقتصر اهتمامها على الحيوانات الأليفة، بل شمل النحل، والمواشي، والأبقار التي شردت. «كان لديها شغف حقيقي بكل كائن حي، وكانت ترى أن هذا الكائن الضعيف بحاجة لمن يتكلم باسمه».

بالنسبة إلى آمال، لم يكن هناك فصل بين الدفاع عن الإنسان أو الأرض أو الحيوان. كانت ترى أن الكرامة حق لكل كائن حي، وأن الدفاع عنها واجب. لذلك، كانت قضيتها دائماً السعي إلى الحق، مهما كان الطرف المظلوم، ولو كان شجرة، وهنا تكمن عظمة آمال.

وتخللت الوقفة أيضاً كلمات لزهراء عبد اللطيف عن «بيت أطفال الصمود»، والأسير المحرر أنور ياسين، وترايسي خوري عن «المركز اللبناني لحقوق الإنسان»، وكلمات من فلسطين.

على بالي

أسعد أبو خليل

رافقَت ما سُميَ كوميديّاً بـ «الثورة» في 2019 حملة من دُعاة الثورة (أي أتباع السعودية والإمارات والسفارات والمصارف) للإتيان بنواف سلام رئيساً للحكومة. والرجل مَدين بعمله في السياسة (أو الديبلوماسيّة) إلى غسان تويني أوّلاً (من خلال فريق الأبحاث في 17 أيّار) ثم إلى السنيورة الذي عيّنه في السلك الديبلوماسي. ومثل حسان دياب، لم يضطرّ سلام إلى خَوض معترك الانتخابات. كان الإصرار عليه مُترافقاً مع إصرار أولاد الزعماء (سامي الجميّل وتيمور جنبلاط وطوني فرنجيّة وميشال معوّض بالإضافة إلى حماس منقطع النظير من كتّاب الرأي في صفحات السعوديّة والإمارات).

ورُوِّج للرجل (الذي التقيتُ به في التسعينيّات من القرن الماضي في بوسطن) على أنّه رجل دولة. لكن ثورة غضبه ضدّ إضاءة صخرة الروشة لمدّة عشر دقائق كانت كافية لتصغير حجمه وخفض مرتبته. لم يهدأ روعه بعد على إضاءة صخرة الروشة، والإضاءة أزعجته أكثر من «يوم الأربعاء الأسود» الذي قدّمَ عنه مطالعة (في مجلس الوزراء) تخدم العدوان زاعماً- وفق ما نُقل في الإعلام، وفي إهانة صفيقة للضحايا الأبرياء (ومنهم أقرباء لي من آل أبو خليل في الجنوب)-أنّ ضربَ المواقع كان لسبب مستعيناً بعلمِه (يا لعلمِه) عن مكان قرب منزل جدّه.

وقبل أيام، ثارَ مرّة أخرى بطريقة زقاقيّة لصالح أحد أصحاب المولّدات لأنّه من عائلة وازنة انتخابيّاً في بيروت. وعندما تقترب من الكرسي، وعندما تأتي إليها فرْضاً من جهة خارجيّة، يسيل لعابك لبناء قاعدة شعبيّة، لكَ ولبنيكَ. الذي كان يُظنُّ أنّه رجل دولة ظهرَ على حقيقته زعيمَ حيّ أو زعيمَ أحياء وأزقّة. الرجل الذي نظّرَ لبناء الدولة وأهليّة الدولة وأجهزتها ثارَ على جهاز أمني تابع له لأنّ المتّهم من طائفة معيّنة ومن عائلة معيّنة. وعائلة سلام كانت بعيدة جدّاً عن الطائفة والمذهبيّة: أبو علي سلام أقام علاقات مع كلّ الطوائف، ومحمد سلام أدخل الشيعة إلى المقاصد، وصائب سلام حاجج للتوحيد الإسلامي وحذّر من فصْل المجلس الإسلامي على أساس مذهبي. أمّا نوّاف: فيفضّل التحاور والتطبيع مع إسرائيل على التحاور والتطبيع مع طائفة لبنانيّة.

الأخبار
al-akhbar
صادرة عن شركة أخبار بيروت

رئيس التحرير
ابراهيم الأمين
مدير التحرير المسؤول
وفيق قانصوه

مجلس التحرير
أمل الأندري
محمد وهبة
وليد شرارة
دعاء سويدان
جمال غصن
حسين سمور

المدير الفني
صلاح الموسى

المكاتب
بيروت ـ فردان ـ شارع دونان ـ سنتر كونكورد الطابق الثامن
تلفاكس: 01759500 01759597
ص.ب 113/5963

/AlakhbarNews
@AlakhbarNews
/AlakhbarNews

الإعلانات
الوكيل الحصري 01/759500 ads@al-akhbar.com
التوزيع
شركة الاوائل
15ـ 01/ 666314 ـ 03 / 828381
الموقع الالكتروني
www.al-akhbar.com